
فوستا وبردليان
تأليف
ميشال زيفاكو
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الطبعة الثانية
١٩٩١م.

١

اسرار فوستا

بعد معركة الطاحونة التـي وصفناها في الكتـاب السابـق دهبت (فوستا) في مركبة يحيط بها عدد من الفرسان على رأسهم كلود الجلاد الى دير مونمارتر، وكانت بادية القلق ظاهرة الانقباض، فاستقبلتها رئيسة الدير كلودين ، وذهبت بها الى غرفة انيقة جميلة الرياش والاثاث ، حيث وقفت امامها مكتوفة اليدين تستمع الى حديثها .

وكان كلود بعد ان وصل بفوستا الـى الدير قد ذهب يقف تحت الاشجـار ويدير نظره ذات اليمين وذات الشمال ، حتى شاهـد شخصا مقبلا نحوه .

ولم يكن هذا الشخص غير الكردينال فرنيز الذي عاهـد (كلود) على العمل معا على قتل فوستا التي تمكنت مـن خطف ابنته مـن منزل (كلود) وتريد القضاء عليها ، كما وصفنا ذلك في الجزء السابق .

وذهب كلود بالكردينال الى غرفة منعزلة في حديقة الدير ، وطلـب منه انتظاره فيها .. ريثما يأتي بفوستا اليه .

وكانت (فوستا) كما قدمنا بعد ان اتفقت مع بعض الكرادلة ، تريد

الظفر بكرسي البابوية ، لانها من عائله بورجيا الايطالية المشهورة ، وقد كان بين افراد هذه العائلة من بلغ كرسي البابوية ، ومن حكم مقاطعات كبيرة في ايطاليا .

ولقد راحت فوستا تتحدث الى (كلودين) باطماعها وآمالها ، وكيف ان الكردينال فرنيز كان اول من أيدها ، وذهب بها الى جماعة الكرادلة الذين يعارضون سياسة البابا سيكست كنت ، فخطبت فيهم ، وعاهدرها على العمل معها ، والبسها كبيرهم هذا الخاتم المقدس الذي تحمله في اصبعها .

ومضت فوستا تقول :

ــ ولقد قمت بعد ذلك باعمال كثيرة في ايطاليا ، حتى اصبح معظم الاساقفة من انصاري .. ولما رأيت ان ملك فرنسا قد اساء استقبال الكردينال فرنيز ، قلبت نظام الحكم فيها ، واخترت لها ملكا غير هذا الملك .

فقالت كلودين :

ــ اذاً فالامور تسير على خير ما يرام ؟

فقالت فوستا :

ــ هذا في الظاهر فقط .. ولكن الامور في الواقع لم تعد تسير على خير ما يرام .. فقد اخذ الكرادلة يترددون .. ويخشون العاقبة ، خصوصا بعد ان تخلى عني الكردينال فرنيز .

فقالت كلودين :

ــ ولكن الدوق دي كيز لا يزال معك ؟

ــ لقد صالح هذا الرجل امرأته ، ولكنها لا تزال في قبضة يدي ، وانا التي دعوتها لتعود الى قصرها في باريس بعد ان نفاها عنه ، لعله يقتلها ، ولكنه لم يفعل بل صالحها ، وتفاهم معها .

« كما انه سمح لكيراون بان يخرج من باريس على رأس ثلاثة آلاف جندي ، للانضمام الى الملك ، فقويت به شوكة الملك ، واصبح باستطاعته ان يدافع عن نفسه عند الحاجة .

« كما اجتمع الى كاترين الملكـة الام ، فاستطاعت هذه تهدئتـه ، ووعدته بالعرش شرط ان ينتظر وفاة ابنها المريض الذي لا وريث له .

« كما اخبرته انا باموال البابا التي كانت في طريقها الى بـاريس ، وعينت له مكانها ، ولم يبق امامه الا ان يمد يده اليها فتصبح له ، وتكون خير معوان له في اعماله ، ولكنهم عبثوا به ، وضحكوا عليه ، رغـم انه ارسل جيشنا لمهاجمة الطاحونة ، فلما دخلوها وجدوها خالية من المال » .

واغمضت عينيها وقالت كأنما تناجي نفسها :

ـ نعـم .. لقد لقى دي كيز خصما قـويا في ساحـة الاعتصاب ، والطاحونة ، ولكن لماذا لا يكون له قلب باردليان .

ونظرت الى (كلودين) وقالت :

ـ ان دي كيز ليس الرجل الذي يستطيع الاستيلاء على العروش ، والظفر في المعارك .. ولو كان باردليان مكان دي كيز لاستطاع الظفر بكل شيء .

وصمتت برهة ثم راحت تناجي نفسها :

ـ لا .. لا .. هذا لا يكون ابدا .. يجب ان اظل بـدون قلب ، وان ابقى عذراء الى الابد ، اقود الرجال ، ولا تقودني الرجال .

« ولكن مالنا ولهذا الان .. لقد ارسلت اليّ تقولين ان النوريـة سايزيما عندك ، فدعيها الى هذه الغرفة لاني اريد التحدث اليها .

ذهبت كلودين لدعوة النورية ، ولما جاءت بها .. قالت النورية عندما رأت فوستا بعد ان اخذت يدها :

ـ اتريدين ان اخبرك بطالعك ؟

فقالت فوستا :

ـ لا حاجة الى ذلك ، واذا اردت كشفت انا لك طالعك .. فـاني اعرف من هذه الصناعة مثل ما تعرفين .

فدهشت (سايزيما) لما سمعت ، فسألتهـا فوستا ان تكشف عـن وجهها ، فرفضت وقالت :

ـ ان وجهي مصفر من الخجل والعار ، فلا اريد ان يرى النـاس خجلي .. بعد ان رأوا وجهي في الكنيسة وساحة الاغتصاب .

وارتعشت فوستا وقالت في نفسها :

ـ في الكنيسة . وساحة الاغتصاب ، ايمكن ان تكون هي ..

وقالت فوستا :

ـ اتخافين ان يراك الجلاد ؟

ـ ابدا فالجلاد لم يتولني بالاساءة ، واما الذي اساء الي فهو اللص الذي يسرق القلوب .

ـ من هو ؟

ـ انه في صدري ولا ابوح باسمه .

فقالت فوستا :

ـ اني اعرفه .. وانا اعرف الان انك احببت وبكيت وتعـذبت .. واعرف ان الكردينال هو الذي سحق قلبك .. عند المذبح .. وهو جان دي كرفيلير .

صاحت سايزيما عندئذ صيحة رعب وسقطت على ركبتيها .

وابتسمت فوستا .. وقالت :

ـ انها بعينها .

★ ★ ★

فتح الباب في هذه اللحظة واقبل كلـود ، فعجبت فوستـا لرؤيته ، ولكنه اشار اليها ان تتبعه لمقابلة سيده او يضطر لقتلها .

سألته فوستا :

ــ من هو سيدك ؟

ــ انه الكردينال فرليز .

ــ اهو هنا .. اذن اذهب بي اليه .

واشارت فوستا بيدها الى رئيسة الدير تطمئنها ، وامسكت بيـد سايزيا وهي تقول :

ــ تعالي معي .. فانك لن تتعذبي بعد الآن ..

ولما وصل الجميع الى الغرفة التي كان فيهـا الكردينال ، اضطربت سايزيا عند رؤيته ، وقال الكردينال يخاطب فوستا دون ان يلقي نظرة على النورية :

ــ لقد اخلصت لك كل الاخلاص ، ولما وقعت ابنتي في قبضة يدك وطلبت منك الصفح عنهـا رفضت ، ولن ينقذك الان من المـوت الا ان تقولي لي ان ابنتي لا تزال حية ، وان ترديها اليّ .

قالت فوستا :

ــ انها ماتت .. ولتعلم انك لن تستطيع مس شعرة من رأسي .. ولقد جئت اليك بارادتي ؛ ولو اردت لناديت حراسي .

وأنّ الكردينال واختلجت كل اعضاء جسمه .

ومضت فوستا تقول :

ــ نعم ماتت .. وقد اردت ان اعلم اذا كنت انت اول تلاميذي .. ستطيع التغلب على الضعف الانساني ؛ وتضحي نفسك وقلبك في سبيل غايتي المقدسة .. ولو فعلت لكان لك مني احسن الجزاء .

« ومن يعلم ، فقد تنجو هذه التي تبكيها ، باعجوبة من الاعاجيب .»

ـ ليس هذا الوقت وقت العجائب •• ولا بد لي من قتلك •

ـ اذا كنت تريد انكار العجائب ، والمضي في عصيانك ، فانظر اذن الى التي كنت تحسبها ميتة •• منذ خمسة عشر سنة •

فقال برعب :

ـ لقد ماتت طبعا •

ـ اذن فانظر •

واشارت الى سايزيما ••

وصاح الكردينال :

ـ النورية ؟

قالت :

ـ انظر اليها جيدا •

ونظر اليها وصاح : ليونورا ••

وصاحت المرأة •

ـ من هذا الذي يلفظ اسمي ؟

وذعر الكردينال ، وتراجع حتى التصق بالجدار ثم ركع وهو يقول :

ـ ليونورا •• هل انت خيال خرج من القبر ؟

فقالت فوستنا وهي تغادر الغرفة :

ـ لقد جمعتك بخطيبتك ليونورا دي مونتاكو ، فاحذر ان اجمعك يوما بخيال ابنتك التي تبكيها وتحسبها ميتة •

وشاهدها (كلود) وكان يقف خارجا للحراسة خرجت حية ، فذهل وقال في نفسه :

ـ العله صفح عنها ؟

ووثب الى الغرفة ، فلما شاهد سايزيما صاح :

ـ رباه ماذا ارى •• والدة البنفسجية •

ولكنه ما لبث ان عاد الى نفسه ، واسرع ليلحق بفوستا ويقتلها .
ولكن هذه كانت قد اسرعت الى عربتها فـذهبت بها ، فعض على شفتيه وهو يقول :

ــ لقد افلتت مني هذه المرة ، ولكني سأنتقم .. سأنتقم .

★ ★ ★

ما كاد كلود يغادر الدير ، حتى اقبل عليه اربعة رجال ، هم بارداليان والدوق دي انجلوم وبيكوسي وكرواس ، وقد دخلوا جميعا من الحديقة التي تهدم جدارها ، فشاهدوا راهبتين تعملان في الارض ، فدنا بارداليان منهما وسألهما عن المكان الذي تقيم فيه النورية .

فاخبراه بمكانها بعد ان نفحها ببعض المال ، فذهب هو والدوق اليه ، فيما وقف بيكوسي وكرواس خارجا للحراسة .

وتقدمت احدى الراهبتين ، واسمها فيلومين تتحدث الى كرواس ، وقد راقها جماله ، ومضيا يتحدثان بين الاشجار ، حتى وصلا الى منزل صغير ، حوله سياج ، فلما وجد بابه مقفلا ، تسلق الحائط ، وهم بفتح الباب ، فسمع وقع اقدام ، فالتفت فشاهد فتاة حسناء تركض نحوه منفوشة الشعر ، ونظرت اليه نظرة المتوسل .
وقالت :

ــ انقذني يا سيدي .. من هذا المكان .. ودهش كرواس عند رؤيتها ، وعرف فيها البنفسجية ، ولكنه ما لبث ان شاهد بلجودير مقبلا ، وبيده سوطه ، فنصح البنفسجية بالعودة الى مكانها ، بعد ان وعدها بانقاذها قريبا .

ولما همّ بالفرار ، لحقه (بلجـودير) وامسك به ، وساله عما يصنعه هنا •

فأجابه كرواس :

ــ كنت ابحث عنك •

فقال له :

ــ اذا كنت تبحث عني فقد وجدتني ، فتعال معي •

وادخله الى المنزل حيث وضعه فيه ، فيما عادت فيلومين على اعقابها ، بعد ان شاهدت رجلين وامرأة اسيرة في البيت الصغير ، ولم تكن تعرف ذلك قبلا •

ذهبت تقص على رفيقتها (ماريان) ما رأت ، فرأت هذه ان تـذهب الى باردليان بالقصة ، لعلها تحصل منه على بعض المال •

فلما ذهبت تبحث عنه في المكان الذي دلته عليه ، وعلى ان سايزيمـا تسكنه لم تجده •• فخرجت الى خارج الدير ، فلم تعثر له ولا لرفيقـه على اثر •

واما (بلجودير) ، فقد انهال على كرواس بعد ان ادخله الى الغرفة ضربا ، ليعترف له بالحقيقة •

فقال له هذا :

ــ لقد طردنا صاحب الفندق بعد ان غادرته انت ، فذهبنا نبحث عن عمل فأدخلنا الدوق دي انجلوم ، في خدمته •

فقال بلجودير :

ــ يسرني ان يكون خلفي دوق بل ابن ملك ، ولكن لماذا انت هنا ؟

ــ ان الدوق عاشق وقد اختفت محبوبته ، وقد علم ان في هذا الدير نورية تكشف الغيب ، فجاء لاستشارتها •

فقال له بلجودير :

ــ ولكن هذا لا يستر تسلقك السياج والنزول الى ارض هذا المنزل .

ــ لقد رأيت جماعة في الحديقة ، فخشيت ان يكونوا من الجواسيس فاختبأت .

ــ بل لقد جئت للتجسس علي ، وهذا جزاء من يفعل .

وانهال عليه ضربا بالسوط ، ثم ذهب الى رئيسة الدير ، فحدثها بما سمعه ، فنقلت الخبر الى فوستا ، فأمرتها باتخاذ الاحتياطات اللازمة لزيادة المراقبة .

★ ★ ★

لم يعد الكردينال يرفع رأسه ، حين عرف ان هذه المرأة هي الفتاة التي كان يهواها ، والتي كان يظن انها ماتت ، والتي تركت له ابنة هي البنفسجية ، قتلتها فوستا .. كما علم منها .

راح يتحدث الى فتاته المحبوبة ، بحديث يفطر الاكباد .. ويقول :

ــ انت على حق في كرهي .. وانا استحق هذا الكره ، ولكنك اذا عرفت الحقيقة ، وشرحت لك ما لاقيته من العذاب ، فلا بد ان يخف كرهك ، وتغفري لي ذنوبي .

لقد أحس في هذه اللحظة بأنه عاد أعواما الى الوراء ... وعاوده الامل بان يستعيد حب هذه المرأة ، التي كان يعبدها .

ــ ليونورا .. اتريدين الاصغاء الي .. اتريدين ان اعترف لك بذنبي ، وهو اني لم اجسر على اعتزال الكنيسة ، وانا فيها بمقام الكردينال للزواج بك .. نعم لم اجسر .. لقد كنت جبانا ولكنك ثقي اني احببتك وعبدتك ولا ازال احبك واعبدك ، فهل يشفع حبي هذا بذنوبي هذه ؟

ومضى يبكي .

وقالت له ليونورا :

ــ لماذا تبكي ، العلك انت ايضا بائس حزين ؟.

وبهت الكردينال حين سمع هذا الكلام ، وادرك ان ليونورا قــد فقدت عقلها بالتأكيد .

ودنا منها واخذ بيدها .

وفتح الباب في هذه اللحظة .. واقبل بارداليان والدوق ، وسمعا الكردينال يقول :

ــ ليونورا .. الا تذكرين حبيبك القديم .. انظري اليّ .. فأنــا ذلك الرجل الذي احببته .. ليونورا اني جان فرنيز .. رباه انها لا تدرك ما اقول .

وهزّها بعنف حين لم تجبه .. وخطر له ان يذكر لها ابنتهــا لعلها تعود الى وعيها ، فقال :

ــ اذا كنت لا تذكرينني ، فاذكري ابنتك .. فأنت ام .. ليونورا .. لا بد ان يكون لك قلب ام .. فاذكري البنفسجية ابنتك على الاقل .

قبض الدوق على يد بارداليان وقال له :

ــ ماذا يقول ؟

ــ اسكت ، فاننا امام اسرار هائلة تذاع في هذه الغرفة .

ومضى الكردينال :

ــ اذكري يا ليونورا .. انه كان لك بنت لقيت من الشقاء مثل مــا لقيت .. ثم ماتت اخيرا .

وصاح الدوق :

ــ من يقول ان البنفسجية ماتت ؟

وتقدم الى الكردينال يهزه ويقول له :

ـ من انت ايها الرجل ؟

ـ اني الكردينال فرنيز عاشق ليونورا دي موتناكو ، ووالد ابنتها البنفسجية .

وجمد الدوق لما سمعه .

والتفت الكردينال الى (ليونورا) وقال لها :

ـ هلمي بنا نغادر هذا المكان .

ودنا بارداليان من الدوق وقال له :

ـ كن رجلا يا سيدي الكردينال ، فان صديقي الدوق دي انجلوم يحب ابنتك ، ولقد سمعتك تقول ان انها قد ماتت فكيف ماتت ؟.

ـ لقد قتلوها ..

ـ من الذي قتلها ؟

فقال الدوق :

ـ قتلتها امرأة بل نمرة مفترسة تدعى فوستا .. ويحسن بك ان لا تتعرض لها ، لان باستطاعتها ان تسحقك .. اهربا من وجهها فان عيونها في كل مكان .

سأله بارداليان :

ـ وانت ماذا تصنع ؟

فقال الكردينال :

ـ ان شأني معها غير شأنكما .. فقد اقسمت على ان اقتل فوستا .

واراد الكردينال ان يأخذ زوجته معه ، ولكنها رفضت وفضلت الذهاب مع بارداليان .

وشاهدتهم الراهبة (ماريان) يغادرون ارض الدير والنورية معهم ، فذهبت خلفهم حتى رأتهم يدخلون فندق دفنير ، فعادت الى رئيسة الدير تحدثها بما سمعته ورأته ، فكتبت الرئيسة كتابا الى فوستا بهذا الشأن ، واعطت الكتاب الى الراهبة لتذهب به اليها .

- ٢ -

في ساحة الاعدام

اخذ الخـوف يساور النبلاء بعد اجتماع دي كيز بالملكـة كاترين ، وموافقته على وقف الثورة ، والعودة بالملك هنري الثالث الهـارب الى عاصمته ، بعد ان وعدته الملكة بان يكون خليفة لابنها الذي لا وريث له ، والذي قد لا يطول عمره بسبب مرضه •

لقد اعتقـد الجميع ان دي كيز قد خان الحزب المقـدس ، ورضي بسياسة المهادنـة طمعا في مركز كبير عاجل يتولاه الان ، ثـم في العرش بعد ذلك •

ولكن من يضمن لهم ان الملك عندما يعود الى عاصمته لا ينتقم من النبلاء الذين ثاروا عليه وخانوا عهده ؟

كما ضاق صدر الشعب من حادثة الطاحونة ، فقد شاع بينهم ان هناك جماعة من الهيكونوت قد التجأوا اليها •• وانهم طليعة جيش هنري دي نافار زعيم الهيكونوت الذي ينوي الزحف على باريس واحتلالها •

واما الدوق دي كيز فلم يلق بالا لغضب هؤلاء واولئك ، ولا لنقمة

الشعب عليه ، كان واثقا من زعامته ، وانه اذا ظهر للجمهور صفقوا له وهتفوا .

ولهذا نراه يجتمع الى (مورفر) بعد ظهر اليوم التالي لزيارة فوستا للدير ، ويفكر في البنفسجية التي ملكت قلبه حبا ، فيما كان (مورفر) يحدثه عن موقف النبلاء والباريسيين منه .

واقبل بيسي لكارك حاكم الباستيل في هذه اللحظة يريد مقابلة الدوق ، فلما شاهده هذا اغرق في الضحك وتذكر كيف ربطه باردليان في الطاحونة ، فازداد غضب (بيسي) على باردليان وقال للدوق :

ــ لو كنت مكاني يا مولاي لما ضحكت .. والواقع اني لا احقد عليه لانه ربطني بدولاب الطاحونة ، وانما احقد عليه لانه غلبني في المبارزة .. ولكني تعلمت الضربة التي صرعني بها ، وقد اخذت بالمران عليها مرات في النهار ، وسترى ما يكون من امره عندما اجتمع به مرة ثانية .. وبهذه المناسبة اريد ان انقل الى علم مولاي ان البارزيين في حالة هياج ، وهم يطلبون ملكا .

ــ اي ملك يريدون ؟. لقد كان لهم ملك فطردوه ، واذا كانوا يريدون ان اكون انا الملك فما عليهم الا الصبر قليلا كما انا فاعل .

فقال (بيسي) :

ــ اذا كان هذا رأي مولاي ، فما علينا الا ان نعمل على الهاء الشعب قليلا .. فقد احتشدوا حول الباستيل يريدون اعدام اسرة (فوركود) وهي مؤلفة الان من فتاتين قتل والدهما ، بعد ان اتهم بالهرتقة ، وسجنتا في الباستيل قبيل هرب الملك ، وكلتاهما مشهورتان بالادب والجمال الباهر .

فقال الدوق :

ــ اذا كان سيسكتون ويهدأون بعد مقتل الفتاتين فلتقتلا .

فقال بيسي :

ـ اذا سوف نحتفل غدا بشنق الفتاتين امام هؤلاء الثائرين .

وقد كان بامكان الدوق ان يفيد من ثورة الباريسيين ويذهب الى اللوفر على رأس رجاله ، ويجلس على العرش .

ولكنه كان يريد ان يصل الى العرش بصورة قانونية ، دون ان يثير حربا اهلية .. ودون ان يلقى معارضة من ملوك اوروبا .

وفيما هو في هذه الحالة ، وصلته رسالة من فوستا تقول فيها ، انها عرفت مكان بارداليان والدوق دي نجلوم في باريس ، وانها سترشده الى هذا المكان قريبا .

فسر الدوق بهذا الخبر ، وارسل رسولا الى حراس ابواب باريس يأمرهم ان لا يدعوا احدا يخرج منها .

واما بيسي لكرك فقد التفت الى الدوق وطلب منه ان يسمح له بمبارزة بارداليان قبل قتله ، لان منفيل قد روى قصة اندحاره امامه ، الى مائة نبيل ، وهو يريد ان يتغلب على بارداليان هذه المرة ليعود له لقبه السابق من انه الرجل الذي لا يغلب .

فوعده الدوق بذلك .. واذن للجميع بمغادرة القاعة .

★ ★ ★

قرأت (فوستا) رسالة رئيسة الدير . وكيف فرت سايزيما مع بارداليان وصديقه ، اللذين كانا يبحثان عن البنفسجية ، فاشتدت كراهتها لهذه الفتاة ، التي كانت تريد قتلها في اول الامر الدوق يحبها .. وهي تريد الزواج بالدوق لتجلس على عرش فرنسا معه ، واما الآن فقد ازدادت كراهيتها لهذه الفتاة ، بعد اهتمام بارداليان بها ، وبعد ان اخذ قلبها يرق لهذا الفارس الباسل .

لقد كانت تعتقد انها فوق الحب •• ولكن الحب تغلب عليها •• واخذ قلبها يخفق كلما تذكرت بارداليان وجرأته وبسالته •

اشتدت غيرتها ، وكتبت رسالتها الى الدوق تخبره انها تعرف مكـان بارداليان ، وستخبره به غدا ، وقد اجلت هذا الخبر ، لغرض لها سوف يظهـر •

واخذت تفكر فيما يجب عليها عمله •

وكانت عيونها تنقل اليها الاخبار عما يجري في غرفة الدوق ، ومـا يدور من حديث بينه وبين اعوانه، ولما أقبل الليل، ارتدت ملابس الفرسان، وامرت بتجهيز جوادهـا ، وارسلت رسولا الى (بيسي لكلرك) حـاكم الباستيل تقول له انها ستزوره ليلا •

ثم ركبت جوادها وحولها اربعة من الفرسان ، فلما وصلـت الـى (باب مونمارتر) فتح له الحارس الباب بعد ان اراه احد حراسهـا امرا خاصا ، وتوجهت الى الدير حيث سألت عن الاسيرة فلما عرفت انهـا في سجنها ذهبت اليها ، فانكمش (كرواس) في مكانـه لما شاهد فوستـا ورئيسة الدير وبلجودير ، وكان ينام في مكان يشرف على الغرفة ، حتى لا يفطن له احد •

واخذت فوستا تنظر الى البنفسجية النائمة بوجهها الملائكي وجمالها الرائع •

ثم قالت تناجي نفسها :

ــ انها بالتأكيد جديرة بحب بارداليان البطل ، ولا بد انه يحبها حبا شديدا ، وسيكون شقاؤه عظيما حين يفارقها الى الابد •

وامرت رئيسة الدير باحضار مركبة ، وطلبت من بلجودير ان يذهب مع الاسيرة لحراستهـا •• ولما سألها الى اين يذهب بهـا اجابته الـى الباستيل •

ولما وصل الجميع الى الباستيل طلبت فوستا اخبار الحاكم بوصولها .

اسرع (بيسي) لاستقبالها ، فاعطته امرا من الدوق دي كيز ، يأمر فيه جميع رجاله بتنفيذ ما تطلبه منهم الاميرة فوستا حالا ، فحنى الرجل رأسه بعد قراءة الامر وقال :

ــ ما الذي تأمر به يا سيدتي ؟

قالت :

ــ سوف تشنق غدا فتاتان ، وقد عفوت عن صغراهما .

فقال :

ــ ولكني وعدت الشعب بالفتاتين .

قالت :

ــ لقد اتيتك بفتاة لتحل مكان التي سيطلق سراحها .. فما اسم الصغيرة ؟

ــ حنه فوكورد .

ــ وهذه الفتاة التي حلت محلها سوف تحمل نفس الاسم فاذكر ذلك .. متى سيتم الاعدام ؟

ــ عند الظهر يا سيدتي .

ــ بل يجب ان يكون في العاشرة لاحضره .

ــ ليكن ما تريدين .

وغادرت فوستا الباستيل ، وامرت بلجودير بالذهاب بجثة فوكورد الى الدير حيث يضعها مكان البنفسجية ، فلما وصل الى الدير ، وبحث عن كرواس ليأمره بحفظ الاسيرة لم يجده في مكانه فعرف انه قد تمكن من الفرار .

لم يقلق لهربه .. كان همه معرفة مصير البنفسجية التي اختطفها من

منزل كلود الجلاد انتقاما منه ، وهو يظن انها ابنته ، وقد وعدته فوستا بان تخبره بمصير هذه الفتاة التي كان يريد تعذيبها انتقاما من ابيها، فقرر الذهاب الى منزل فوستا ليعرف هذا السر ، وليطمئن الى انه قد نجح في انتقامه .

وقد عرفت فوستا عند اجتماعه به ان سبب نقمته على كلود الجلاد ان السلطات المسئولة حكمت على بعض النور بالاعدام وبينهم زوجة بلجودير بتهمة سرقة كنيسة كانوا يقومون بجوارها ، فذهب بلجودير للجلاد وسأله ان يضع حبلا رقيقا حول عنق (ماجدا) زوجته ... حتى اذا سقط الحبل بها عفوا عنها فلم يفعل الجلاد وماتت ماجدا .

ومضى النوري يقول :

ـ واما ابنتي فلا ادري مصيرها ، لان الجلاد وضعهما عند احدى العائلات في باريس ، وقد بحثت عنهما فلم اعثر لهما على اثر .

« ولقد ذهبت الى كلود وسألته عن ابنتي ، فقال انه وضعها عند رجل رفيع شريف واسع الثراء ، ولكنه رفض اعطائي اسمه وعنوانه .

« فقررت عندئذ ، ان اعذبه عذابا شديدا كما عذبني وافسد علي حياتي .

« ورحت ابحث عن امره فعرفت ان له بنتا ، فخطفتها منذ ثماني سنوات ، وقررت ان انتقم منه بواسطة فتاته هذه ، التي كان يعبدها ، وابنته هي البنفسجية يا سيدتي .

« ولتعلمي يا سيدتي ان الدوق دي كيز قد شاهد البنفسجية هذه معي ، فاثاره جمالها وساومني عليها ، وسألني ان اذهب بها الى منزله ، فأتيت بها الى منزلك ، وانا احسب اني ذاهب الى منزل الدوق » .

وعندئذ اخبرته (فوستا) بانها ستساعده في انتقامه ، وانالبنفسجية اصبحت في الباستيل كما يعلم ، وهي ستشنق غدا مكان حنه فو كورد

بتهمة الكفر ، وستحرق جثتها بعد ذلك .

فقال بلجودير :

ــ ولكن الذي يهمني ، ان يشاهد كلود شنق فتاته وحرقها .

قالت :

ــ ما عليك الا ان تذهب في صباح غد الى منزل الكردينال فرنيز الكائن بالقرب من ساحة الاعتصاب ، وهو المنزل الثالث الكائن خلف النهر .

« وستعرفه حالا ، لانك لن ترى احدا يطل من شرفاته ، كأنما هو خال من السكان ، ولكن الكردينال سيكون فيه مع كلود الذي لا يفارقه » .

ولما غادر بلجودير قصر فوستا راضيا مسرورا ، كتبت (فوستا) الى الكردينال كلمة تقول له فيها :

« ان تمردك يستحق العقاب ، ولهذا قررت معاقبتك بابنتك ، التي لم تمت حتى الان ، فان اردت معرفة مصيرها فاذهب صباح غد الى منزلنا في ساحة الاعتصاب ، وانتظر فيه الى الساعة العاشرة .. حيث يزورك رجل يدلك على مكان ابنتك » .

واتقدت عيناها ببارق الحقد بعد انتهت من كتابة رسالتها ، وراحت تفكر في بارداليان وكيف انها ستضربه ضربة قاضية ، بعد ان قضت على حبه ، وقررت قتل حبيبته .. التي كانت في الواقع حبيبة الدوق انجلوم .. ولكنها لم تكن تدري ذلك .

واستشعرت بحبه ــ حب بارداليان ــ يسري في عروقها .. ورأت ان لا سبيل الى قتل هذا الحب الا بقتل صاحبه ، ثم فكرت وقالت :

ــ ان من يبارز بارداليان ويتغلب عليه يحتقره ، واذن فلا بد من مبارزته وقهره .

وكانت فوستا من البارعات في حمل السيف ، وقد تعلمت على اشهر اساتذة هذا الفن .

ولما استقرت هذه الفكرة في رأسها ذهبت الى غرفة السلاح فاختارت حساما ماضيا ، وارتدت ملابس الفرسان ووضعت قناعا على وجهها ، ثم غادرت القصر مع حارس واحد الى فندق (دفنير) .

وكان الفجر قد اشرق او كاد ، فقرع حارسها باب الفندق ، ففتح له الخادم ، فقالت فوستا له :

ــ اذهب الى الشفاليه بارداليان واخبره ان شخصا يريد مقابلته .

وذهب الخادم الى بارداليان فأيقظه ، واخبر بأن هناك من يريده ، فحاول بارداليان الاعتذار بأنه بحاجة الى المزيد من الراحة ، وهو لا يترك فراشه الا لمقابلة سيده او مقابلة عدو .

فقال حارس فوستا وكان قد سار خلف الخادم :

ــ ارجو الشفاليه بارداليـان ان يتفضل بالنهـوض لاني جئتـه للسببين معاً ...

فنهض بارداليان ونظر الى الحارس مليا ثم قال :

ــ اذاً لا بد من ارتداء ملابسي .

ولما اصبح الرجلان في الشارع سأله بارداليان من يكون ؟ فقال :

ــ اني وكيل نبيل يريد مبارزتك .

ــ ما اسمه ؟

ــ سوف تعرف اسمه بعد ان يلقيك صريعا على الارض .

وفكر بارداليان من يكون هذا الرجل ؟

أهو الدوق دي كيز ؟. طبعـا لا .. لانه لو كان الـدوق لطوّق الفندق . وقابله على رأس فرقة من رجاله .

أهو بيسي لكلرك ... جاء يثأر لنفسه من انخذاله يوم الطاحونة ؟

أم هو مورفر ؟

وبرقت عيناه .. حين خطر له هذا الخاطر ، وقال للرجل :

— اين سيدك ، اذهب بي اليه .

ودنت فوستا عندئذ من بارداليان ، فأدرك ان هذا الشخص المقنع ليس مورفر .. فسأله عن اسمه ، فلم تجبه ، وجرّدت سيفها للقتال .

حاول ان يعرف كيف عرفت بمقره ، فكان جوابها الصمت التام . فقال بارداليان :

— انت لست من أهل الادب يا سيدي ، ولا بد لي ان انزع قناعك لاعرف من تكون .

واشتبك السيفان ، وأدرك بارداليان بعد قليل ان خصمه قوي جدا .. فسرّ بذلك .

وتمكن بعد قليل من انتزاع قناعه بعد ان اصابه بجرح في وجهه ، فلما ظهر الوجه ، وبدت (فوستا) ... نكص على عقبيه وهو يقول بذهول :

— يا الهي ... لقد كنت أقاتل امرأة .

وحنى رأسه وهو يقول :

— لو كنت اعلم ان خصمي هو الاميرة فوستا لتركتها تجرحني .

صاحت به فوستا وهي ثائرة :

— دافع عن نفسك .

وهجمت عليه ، فكان اسرع من البرق فانتزع منها سيفها ، فازدادت هياجا وغضبا .

فألقى عندئذ بحسامها الى الارض واستدار عائدا الى الفندق ... فصاحت به تقول :

— الى اللقاء ايها الشيطان ، وارجو ان أراك في الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم في ساحة الاعتصاب .

وسأل بارداليان نفسه :

ــ ترى ما غرضهـــا من ذكر اسم هذا المكان ، وما الذي سيجري فيه ، يجب ان اكون على حذر من امري ، وان اغادر هذا الفندق حالا .

وذهب توا الى غرفة الدوق دي انجلوم فوجده مصفر الوجه جامداء فألقى نظرة الى فراشه ، فشاهده على حالـــه ، فعلم ان الدوق عد صرف ليلته ساهرا ، ووقعت عيناه على غدارة قريبة ، فادرك ان الدوق في سبيله للانتحار ... حزنا على البنفسجية التي قيل له انها ماتت .

حاول تهدئة روعه ، وتثبيت قلبه فلم يوفق ، وبدا الدوق ساهيـــا كأنما فقد كل شيء في الدنيا .

وفي هذه اللحظة أقبل كرواس الى الفندق ، وأخبرهما بأن البنفسجية كانت سجينة في الدير حتى ساعة من الزمن ، وانها نقلت الى سجن آخر ... لا يعرفه .

واصفر وجه بارداليان عندئذ .

وتذكر كلمة فوستا عن ساحـــة الاعتصاب ... وسأل نفسه للمرة الثالثة .

ــ لماذا عينت له الساعة العاشرة .. لأكون فيها .. ونظر الى الساعة، فاذا هي قد بلغت الساعة التاسعة والنصف .

فاهتز وقال للدوق :

ــ البس سلاحك واتبعني .

سأله :

ــ الى أين ؟

ــ الى ساحة الاعتصاب .

★ ★ ★

توافد الناس على ساحة الاعتصاب منذ الصباح •

وفي الساعة التاسعة أقبل الدوق دي كيز وحوله حراسه ، فجلس على منصة أعدت لهليشهد حفلة الاعدام هذه •

واقبلت فوستا بعد قليل في مركبة خاصة ، فلما ازاح الهواء احدى ستائرهــا بدا وجهها للناظرين ، وشاهدها بلجودير كما شاهدها الدوق فقال في نفسه :

ــ ما يكــون موقف الدوق حين يعلــم ان احدى الفتاتين اللتين ستعدما ، هي البنفسجية ؟

وتذكر ما امرته به فوستا من زيارة الكردينال فذهب اليه ، فوجده مع كلود ، وقد بدا الاثنان في حالة ذهول وقلق بعد وصول كتاب فوستا اليهما ، فلما وصل رسول فوستا ، وعرف فيه (كلود) النوري بلجودير، صاح يقول لنفسه :

ــ رباه ••• أيأتي الينا في الوقت الذي يشنقون فيه ابنته ؟

وعرف الكردينــال (النوري) فأسرع اليه وامسك بساعده يسأله عن ابنته •

ولم يلق النوري بالاً لكلام الكردينال، كان همه الانتقام من كلود، فتقدم منه وقال له :

ــ لقد رفضت ارشادي الى مكان ابنتي •

ونظر كلود من النافذة الى المشنقــة وقد بدت امارات الرعب على وجهه •• ثم أجاب بلجودير :

ــ اني لم احاول الاساءة الى ابنتيك ، لقد وضعتهما عند رجل من أهل الخير ، ولكني لم اكن اتوقع لهما هذا المصير •

فقال النوري :

ــ اتعتبر ابعاد الاولاد عن والدهم من اعمال الخير ، الست انت

أما •• اليست البنفسجية ابنتك ؟ لقد انتقمت منك فاختطفتها من منزلك•
ولم يجبه كلود ، وراح ينظر الى الساحة من النافذة ، وهو لا يدري ماذا يقول •
وصاح بلجودير :
ـ ايها الجلاد ألا تجيب على سؤالـي •• الا تخبرني بمصير ابنتي فلورا وستيلا ؟
« انك مصر على السكـوت ••• ولكنـي سأخبـرك ما فعلتـه بالبنفسجية » •
فقال كلود :
ـ الويل لك اذا جئت لتخبرنا بأنك قتلتها •
ـ عين بعين ••• وسن بسن ••• اصبر قليلا فسترى ابنتك ••• انهم سيشنقون الآن في هذه الساحة ابنتي فوكورد••• ولكنهم في الحقيقة سيشنقون واحدة منهما ، واما الثانية فقد أطلق سراحها ، ووضعوا مكانها فتاة اخرى ••• انظر من النافذة لتعرف من تكون •
ووثب النوري الى النافذة وفتح روافدها بعنف ، وصاح يقول :
ـ انظر يا كلود •
ونظر كلود فشاهد جسم ابنة فوكورد ممددا فوق المحرقة بعد ان شنقها •
ونظر الى الفتاة الثانيـة التي كانوا يصعدون بها الى المشنقة فعرف فيها البنفسجية ••• وكانت ساعة هائلة •
قبض كلود على عنق النـوري بيد من حديد واكرهه على ان يطل برأسه من النافذة ••• وقال له بصوت كالرعد :
ـ انظر انت ايضا ايها الشيطان الرجيم ••• انظر الى جثة مدلين فوكورد مشنوقة ممددة فوق المحرقة ، انظر جيدا يا بلجودير••• ان هذه

الفتاة التي يريدون حرقها الآن ، هي فلورا ابنتك .

ووثب كلود الى ساحة الاعتصاب .. وانقض بخنجره على حبل المشنقة والى حيث كانوا يصعدون بالبنفسجية .

اما النوري فقد بسط يده نحو ابنته وصاح :

ــ أتموتين في صباك يا فلورا ؟

ثم تذكر ابنته ستيلا المسجونة في الدير فأسرع يريد انقاذها، فالتقى بالكردينال رافعا خنجره يريد ان يطعنــه به انتقاما لما فعلــه بابنته وهو يقول له :

ــ سوف تموت ملعونا ما دمت قد قتلت ابنتي البنفسجية .

وقبل ان يصل النصل الى جسم النوري سقط الكودينال ارضا من شدة الاعياء والحزن ، فأسرع النوري هاربا لا يلوي على شيء .

لم يدم اغماء الكردينال غير ثوان معــدودات ، ثم عاد بعدها الى نفسه ... ونظر الى النافذة ليودع ابنته الوداع الاخير .

وكم كانت دهشته عظيمة ، لما شاهد الدنيا قد تحولت من حال الى حال ، وبرزت امام عينيه امور غريبة لا تحدث عادة الا في عالم الاحلام .

– ٣ –

امام المشنقة

ترجل الدوق دي كيز ورجاله عن جيادهم ، ووقفوا في المكان الذي أعدّ لهم قريبا من المشنقة .

وجلس الدوق على مقعد فوق منصة عاليــة بعد ان حيّا الشعب باشارة من يده .

واحاط به غلمان الشرف وهم سكوت ، ومن خلفهم النبلاء ورجال البطانة .

وتقدم غلام من هؤلاء الغلمان حتى التصق بكرسي الدوق وصاح :
ـ يحيا الملك .. يحيا ملك فرنسا الجديد .
وتردد النبلاء لحظات ، ثم صاحوا جميعا بصوت واحد ... يحيــا ملك فرنسا الجديد .
وفعل الجمهور مثلهم ، حتى اهتزت الساحة من الهتاف .
والتفت الدوق نحو الغلام وصاح لما عرفه :
ـ أهذا انت ايها الاميرة فوستا .. بهذه الملابس ؟
فقالت فوستا :

ـ نعم انا هنا .. وعليك ان تتأهب ، لان الشعب سوف يحملك على الاعناق الى اللوفر .

وحاول الدوق ان يقول شيئا ، ولكنها اسكتته .

وقالت :

ـ ان صوت الشعب من صوت اللـه ايها الدوق ، فلا تتردد ولا تعارض .

لقـد تهيأ كل شيء لجلوسك . فأسقف ليـون موجود مع اخيـك الكردينال في كنيسة نوتردام ، ومايان الآن في اللوفر ، وبريساك ينتظر مع ستة آلاف رجل بسلاحهم الكامل .

« فما عليك ايها الـدوق والحالـة هذه ، الا ان تذهب بعد انتهاء الحفلة الى كنيسة نوتردام فتصبح ملكا » .

وقال الدوق بصوت مختنق :

ـ نعم ... سوف اذهب .

ـ ثم تذهب بعد ذلك الى اللوفر ، فتنام في سرير هنري دي فالواء ملك فرنسا الهارب .

ووقف الدوق يشكر الشعب على هتافه له ... ورفعت (فوستا) رأسها للسماء تشكرها على نجاحها .

وظهرت الفتاتان اللتان تقرر شنقهما ، وقد تقدمت (مدلين) الفتاة الثانيـة ، والشعب يصيح ويزأر ، فلما انتهى الجـلاد من شنق الاولى ، واستدار الى الثانية ، عرف الدوق فيها البنفسجيـة ، فوقف في مكانه مذعورا ، وحاول ان يقول شيئا لمن حوله .

وصاحت به فوستا :

ـ ماذا تريد ان تصنع ؟ اتريد انقاذها ؟ جرب ان تفعل فينقلب عليك الشعب وتخسر العرش .

وسقط الدوق على كرسيه متلاشيا حين سمع هذا الكلام ، وقد اصفر وجهه .

وقال بصوت مختنق :

ـ رباه ، هذا مخيف .

واغمض عينيه ، واشرق وجه فوستا لانتصارها .

وعندئذ حدث ما لم يكن بالحسبان .

حدث لغط شديد بين الناس . قوبل بالاستحسان والهتاف .

فقد هجم جماعة من الناس ، يريدون اختطاف البنفسجية من حراسها واحراقها حية .

وصاحت فوستا صيحة ذعر ، لانها رأت في طليعة هذه الجماعة باردليان .

وكان باردليان قد سأل صديقه ان يحمل سلاحه ويتبعه الى ساحة الاعتصاب ، بعد ان اخذت الشكوك تساوره بشأن البنفسجية ، بسبب ما سمع من فوستا .

فلما وصل الى الساحة التي تعج بالناس ، سأل احد الناس عما يحدث في هذا المكان .

فقال له :

ـ انهم يشنقون ابنتي فوكورد الكافر ، بحضور مولاي الدوق دي كيز .

فسر عندئذ باردليان وهدأ روعه ، واخذ يدفع الناس وهو يتقدم الى الامام .

وسمع صوتا يناديه ، فالتفت فاذا الفتاة لويزا التي احسن اليها في فندق الامل ، وانقذها من الرجل الذي أراد الاعتداء عليها .

فسألها :

— ماذا تفعلين هنا ؟

فأجابته :

— اننا نرتزق ••• انا وجماعتنا ، وكلما ازداد زحـام الناس كان نشل جيوبهم اسهل وامتع •

وفيما كانا ينظران الى المشنقة بعد اعدام مادلين فوكورد ، ظهـرت البنفسجية ، فعرفتها لويزا وقالت لبارداليان :

— يا الهي ، انها الفتاة التي كانت مع النورية في الفندق •

وعندئذ أدرك بارداليان ان هذه الفتاة هي البنفسجية ، وان هذا هو السبب الذي من اجله دعته فوستا للذهاب الى ساحة الاعتصاب ، فنظر الى الدوق نظرة اشفاق عظيم •

وقال :

— علينا ان نفعـل المستحيل ، واذا كان لا بد من الموت ، فلنمت في هذا المكان ، وفي سبيل انقاذ هذه الفتاة المسكينة البريئة •

وسمعت (لويزا) ما قاله بارداليان ، وايقنت انه في سبيله لمواجهة هذه الحشود العظيمة ، فاندفعت بدورها الى عصابتها المؤلفة من النشالين ولصوص باريس •

ولما التفت الدوق نحو المشنقة وشاهد البنفسجية ، صاح صيحـة هائلة ، دوت في ارجاء الساحة ، وأجفل لها من حوله من الناس وقال :

— هنا يجب ان اموت •

★ ★ ★

شهر بارداليـان حسامه وقبض عليه بمن نصلـه ، وانقض به على الجماهير ، يفتح لنفسه طريقـا بينهـا ، فمن تردد او عارض ألقاه أرضا بقبضته •

وكانت البنفسجية لما شاهدت المشنقة ، قد هلع قلبها من الرعب وانحبس لسانها عن الكلام .

ولما رأت باردليان وخلفه الدوق يشقان طريقهما اليها ، صاحت صيحة أمل ورجاء ، وابتسمت لذلك الحبيب الذي يضحي بنفسه لانقاذها .

وتراكض الخراس نحو هذين الرجلين ، يريدان القبض عليهما .

وعندئذ هجم نحو خمسين رجلا بأيديهم الخناجر ، فذعر الناس وتفرقوا واخذوا يهربون .

واخذ المهاجمون الخمسون يصيحون بصوت واحد ... باردليان ... باردليان ...

ولم يدرك باردليان في هذه اللحظة من اين أتته هذه النجدة ، بعد أن أصبح في وسط الناس يفتح طريقه الى المشنقة بسيفه .

وذعر دي كيز ، وجرّد رجاله سيوفهم .. ووقفت فوستا ذاهلة دهشة تنظر الى باردليان نظرة اعجاب واكبار .

والواقع ان جميع اللصوص والنشالين في باريس ، كانوا في ساحة الاغتصاب ، لان ازدحام الناس كان من خير الموارد لهم ، ولانهم كانوا يستطيعون بواسطة هذا الزحام ان ينشلوا من جيوب الناس ما يشاؤون ويريدون .

وكان زعيم هؤلاء اللصوص عشيق لويزا ... وقد اسرعت اليه لما شاهدت هجوم باردليان تقول له :

ـــ عليك بانقاذ هذا الرجل ومساعدته ، او يكون هذا آخر العهد بيننا .

ورأى الزعيم ان مساعدة باردليان ستكون من مصلحته ومصلحة رجاله .

يرضي لويزا ، ويتمكن رجالـه من النشل على أهون سبيل ، متى خاف الناس وذعروا واخذوا يهربون •

ولهذا أمر رجاله بالهجوم ، فجردوا خناجرهم وهجموا •

وكان بارداليان قد وصل الى المشنقة •• فلم يجد امامه غير اربعة من الحراس فرقهم بسيفه ، واختطف الفتـاة منهم واعطاها للدوق وهو يقول له :

ـ اسرع نحو الجياد الواقفة في طرف الساحة •

فأسرع الدوق نحو الجياد وبارداليان خلفه ، وقد أصيب في جسمه ويديه ببعض الجراح ، حتى اذا ركب الدوق جوادا ، نظر بارداليان خلفه فشاهد خمسمائة من رجال دي كيز يتقدمون نحوه ، ونحو عشرين الفا من ابناء باريس خلفهم ، فابتسم ، وقرر الموت في مكانه •• ليتمكن الدوق من الفرار هو وحبيبته قبل ان يلحق بهما احد من الاعداء •

وفي هذه اللحظـة خطر له خاطر ، بعد ان القى نظره على الجيـاد الكثيرة الواقفة الى جانبه •

وثب الى احد الخدم الذي يمسك أعنة الجيـاد ، فحمله وقذف به بعيدا •

ثم استعمل حسامه سوطا واخذ يجلد به الخيل ، فتصهل من الالم ، وتندفع اندفاع السيل نحو رجال دي كيز والناس الذين حولهم •

وبعد لحظات كان خمسمائة جـواد يركضون على غير هـدى ، ويدوسون كل من يقف في وجوههم •

فاختلط الناس بعضهم ببعض ، وداست الجياد عددا كبيرا منهم ، وهرب الآخرون •

وشمل النـاس ذعر شديد ، حتى لقـد أغمي على فوستا من هول ما رأت •

وعندئذ قفز بارداليان الى احد الجياد ، وسار مع الدوق في طريق النهر ، حتى اذا وصلوا اليه قال بارداليان للدوق :

ــ اسرع الى منزلك وانتظرني فيه ، واما انا فسأذهب في طرق ملتوية لتضليلهم حتى لا يتبعوك •

وحاول الدوق الاعتراض ، فضرب بارداليان جواده بسيفه، فأسرع الجواد كالسهم ، والتفت بارداليان خلفه فشاهد نحو خمسين فارسا تمالكوا جأشهم واسرعوا يطاردونه يصيحون :

ــ اقبضوا على اللص •

وقال بارداليان في نفسه :

ــ لقد نجا الدوق الآن بالبنفسجية ، واذا كان به ذرة من العقل ذهب الى اقرب كاهن وعقد قرانه على حبيبته، ثم غادر باريس الى اورليان ليقدم عروسه لامه •

ومضى بارداليان على جواده في سبيله حتى وصل الى احد ابواب باريس فوجده مقفلا ، فاندفع يسارا والفرسان يطاردونه، وقد سقط منهم عدد ، وتخلف عن المطاردة عدد آخر ••• وكان بارداليان يريد انهاكهم ، حتى اذا اصبحوا في عدد قليل هجم عليهم ، واثخن فيهم •

ولما شاهد بعض الناس من افراد الشعب يتبعون الفرسان ، قرر الذهاب الى فندق دفينير اذ لم يكن هناك مكان سواه يأوي اليه في هذه اللحظة ، فلما بلغه اقفل بابه واخذ في تحصين نوافذه ، فأسرعت اليه هيكيت صاحبة الفندق ، فلما شاهدته جريحا ، وقد وهنت قواه ، دمعت عيناها ، ووضعت شفتيها على جبينه ، فقد كانت تحبه منذ زمن بعيد ••• ثم لا تجسر على اعلان حبها له •

عاد بارداليان الى نفسه ، وتمالك اعصابه ، واخذ جرعة من الخمرة•

وكان جماعة دي كينز ومن تبعهم من الناس ، قد احاطوا بالفندق وحاولوا اقتحامه ، ولكن مورفر صاح بهم : يجب اخطار الدوق فان

الامر خطير ، والعدو عنيد لا يلين •

وادركت هيكيت عندئذ الخطر الذي يتعرض له باردالیان لما سمعت الجمهور الثائر يقول من خلف ابواب الفندق :

— اكسروا الابواب واقتلوه •

سألته :

— رباه ماذا فعلت ؟

— لا شيء ••• كل ما في الامر اني منعتهم من ارتكاب جريمة فظيعة •

وسمع الاثنان ضجيجا في الخارج •

ولكنه لم يكن صوت هجوم •• بل صوت جماعة يتراجعون •• وصوت آنية تسقط من الطابق الثاني للفندق الى الارض •

وقال مورفر لمن حوله :

— ان باردالیان قد جمع في هذا الفندق كل من يعرفهم من لصوص باريس •

وقال باردالیان بذهول :

— يبدو ان لنا حلفاء في هذا الفندق من حيث لا نشعر •

واسرع يصعد الدرج الى الطابق الثاني ، فاذا به يجد كرواس مشغولا بالقاء كل ما يعثر عليه من الاواني والكراسي والصحون على الجمهور المحتشد حول الفندق وهو يصيح :

— ايها الجبناء اتريدون قتالي كما فعلتم في الكنيسة ؟

ومسح باردالیان عرقه ••• وأخذ يضحك •

★ ★ ★

حاول بلجودير النوري الخروج من احد ابواب باريس لانقاذ ابنته الثانية الموجودة في الدير ، ولكن الحراس منعوه، فقرر الاستعانة بفوستا

لتساعده في هذه المهمة .

وبعد ان قصّ عليها قصته أعطته ورقة تسمح له بمغادرة باريس من كل الابواب .. وقالت له : وعليك ان تعيدها الي في المساء بعد ان تتصل بابنتك .

اما فوستا فانها اسرعت بعد انصرافه الى كتابة رسالة صغيرة ونادت خادما دفعتها اليه ، وقالت له :

ــ ارسل فارسا بهذه الورقة ، وعليه ان يصل الى الدير بأقصى ما يكون من السرعة .

ولما وصل بلجودير الى الدير اسرع الى الغرفة التي وضع فيها فتاته، فوجد بابها مفتوحا وكان قد اقفله ، فأجفـل ، وذهب الى رئيسة الدير يسألهـا فانكرت علمها بوجود امرأة ثانية في الدير ، فكاد النوري يجن من هول المفاجأة .

وعاد الى الغرفة يفحصها فوجـد ان بابها لم يكسر ، وان هنـاك شخصا قد فتح الباب بمفتاحها ، وانقذ ابنته من الاسر .

وفيما هو في طريقه الى باريس يفكر في هذا السر ، تذكر ان فوستا وحدها التي تعرف سره ، وانه في طريقه لانقاذ ابنته .

وقد رأى فارسا يمر به وهو في الطريق .. واذاً فلا شك ان فوستا هي التي أرسلته لاختطاف ابنته .

ولما عاد الى قصر فوستا ، وسألتــه عن ابنته ، أخبرها باختفائها ، فقال :

ــ ولكن يبدو انك لست قلقا لاختفائها .

ــ ولا انت يا سيدتي قلقة لاختفاء اسيرتك .

فقال:

ــ اني لم اكن اريد اسرهـا ... كان غرضي احتجازها اياماً ثم اتركها تذهب في سبيلها بعد ان تهدأ ثورة الناس .. ولكني سأبحث عنها

واعيدها لك •

« اين الجواز الذي اعطيتك اياه ؟ »

فتش النوري في جيوبه ، ثم رفع رأسه وهو يقول :

ــ يبدو اني فقدته يا سيدتي •

ــ لا بأس هل تريد البقاء في خدمتي ، ام تفضل الانصراف ؟

ــ بل أبقى يا سيدتي •

ــ اذاً فاذهب الآن في سبيلك ولسوف أبعث اليك بأوامري •

وأدرك (النوري) انها هي التي اختطفت ابنته ، وقرر البقاء عندها لمراقبتها ومعرفة أسرارها •

★ ★ ★

وكان الكاردينال فرنيز قد شاهد من النافذة كيف انقذ بارداليان ابنته ، فسر بذلك سرورا عظيما ، وقرر مغادرة المنزل ، وقال للخادم :

ــ اذا سألتك عني الرئيسة ••• فقل لها اني غادرت باريس الى ايطاليا •

ولكنه لم يكد يخرج من الباب حتى انقض عليه خمسة من الفرسان جردوه من سلاحه ، وقال له احدهم :

ــ لقد صدر لنا الامر يا سيدي بالقبض عليك حيا او ميتا ، فأرجو ان تجنبنا مؤونة قتلك •

وعرف الكردينال انهم من رجال فوستا ، فرفع عينيه الى السماء كأنما يطلب من الله المعونة والانصاف ، وقال لكبيرهم :

ــ هيا بنا الى التي ارسلتك ايها الكونت •

وبعد قليل وصلوا الى سراي فوستا ، فوضعوه في غرفة ليس فيها

غير نافذة مشبكة بالحديد واقفلوا الباب خلفه •

واما كلود الجلاد فقد تركنــاه يسرع الى المشنقة وبيده سكينــة و (فوستا) تراقبه حتى لقد أرسلت احد رجالها لمنعه •

ولكنه لما شاهد باردالیان يصل اليها قبله ويختطف البنفسجية من حراسها ، ويعطيها للدوق انجلوم تبعهما ، ولما ركبا الجياد ركب واحــدا واسرع خلف الدوق لما مضى هذا نحــو منزله بعد ان شغل باردالیــان الاعداء عنه ، فلما وصل الى المنــزل ظنه الدوق احد خصومه ، فحــاول قتله ، ولكن البنفسجية امسكت يده وقالت له :

ــ هذا ابي •

واخذ الجميع على الاثر يبكون ، وقال كلود بعد ان تمالك روعه :

ــ اني لست والد البنفسجية ، ولكني قمت على تربيتها والعنايــة بها واما والدها فهو الكردينال فرنيز ، واما هي ليونورا دي موتتاكو •

فقال الدوق :

ــ اني اريد الاجتماع الى والدها •

فقال كلود :

ــ اني اعرف مكانه ، وسأذهب للبحث عنه ، ليجتمع بابنتهويتعرف عليك ، ولتعلم انك اذا لم ترني ، فمعنى هذا ان الفتاة في خطر •

فقال الدوق :

ــ ليس من خطر عليها هنا كما اننا سنبرح باريس غدا •

« ولكنك لم تخبرني من تكون ؟ »

ــ يكفي ان تعلم اني ادعى كلود من اهالي باريس •

فقال الدوق :

ــ ان في حياتك سرا وسوف تخبرني به ، واما انا فادعى الدوق دي انجلوم ، ابن ماري توشيت ، وابي شارل التاسع •

وصاح كلود دهشا :

ـ ابن ملك .

ولما غادر (كلود) المنزل ، خرج الرجل الذي ارسلته فوستا خلفه ، واخذ يتأثر خطواته ، حتى وصل الى المنزل الكائن في ساحة الاعتصاب ، لاعتقاده ان الكردينال لا يزال فيه .. فيخبره بمكان ابنته ليذهب اليها .

طرق الباب ففتح له الخادم ، فقال له :

ـ اريد ان اقابل سيدي الكردينال .

فاجابه الخادم :

ـ اصعد اليه .

فاخذ كلود يصعد السلم دون ان ينظر الى خلفه ، ولكنه لم يكـد يصل الى اعلى الدرج حتى اقبل الجاسوس ، فلم يعترضه الخادم ، واقفل الباب خلفه .

وتوجه الجاسوس توا الى غرفة كان فيها خمسة رجـال هم الذين قبضوا على الكردينال لساعة خلت ، فاشار اليهم اشارة خاصة فتبعوه .

فلما وصل كلـود الى غرفة الكردينال ، لم يشعر الا بجماعـة قد انقضوا عليه من خلفه ، فحاول المقاومة فلم يوفق ، وتمكنوا من ادخـال كيس في رأسه فلم يعد يشاهد شيئا فاخذ يجاهد ويقاوم حتى خارت قواه واغمي عليه .

بارداليان في السجن

حملوا كلـود الـى منزل (فوستا) حيث وضعوه في الغرفـة التي وضعوا الكردينال قبله فيها ، وبعد لحظات شعر ان يدا تحاول حل قيوده ورفع الكيس عن رأسه ، فلما فتح عينيه ، شاهد الكردينال امامه فسأله :

ــ اين نحن ؟

ــ في منزل فوستا طبعا .. اذا لقد قبضوا عليك مثلي .. حـدثني بما جرى لابنتي .. هل تعلم شيئا عنها ؟

فقال كلود :

ــ لقد نجت ، وقد كنت في سبيلي الى منزلك لانقل لك هـذا الخبر السار لتذهب اليها .. ولكنهم قبضوا عليّ فيه ثم حملوني الى هنا .

« وسأخبرك بالتفاصيل متى عادت اليّ قوتي ، واكلت شيئا .. فهل عندك ما يؤكل ؟ »

فقال الكردينال :

ــ انهم لم يفتحوا هذا الباب منذ الصباح ولم يحملوا اليّ شيئا من الطعام او الماء .

فقال كلود :

ــ انهم لا بد ان يحملوا الينا شيئا من الطعام ، فلنصبر ، ومن يدري فقد نستطيع الهرب بواسطتهم .. فهل انت مستعد ؟

ــ اني مستعد ..

وكان يوجد في سقف الغرفة مصباح ينبعث منه نور ضعيف ، ما لبث ان انطفأ من الخارج ، وبات الاثنان في ظلام دامس .

وسمعا في هذه اللحظة صوت الباب يفتح في وسط جدار الغرفة التي كانا فيها ، وبانت لهما من خلفه قاعة واسعة في وسطها عرش من العاج محلى بالذهب ، جلست عليه فوستا .

وقد احاط بها الحراس وجلس حولها الكرادلة وفي اصبعها خاتم يشبه الخاتم الذي يلبسه البابا سكست كنت .

وكان ان وقف احد الكرادلة يعلن للاسيرين ان المحكمة قد نظرت في قضيتهما ، واعتبرتهما خارجين على الجمعية ، وقررت الحكم عليهما بالاعدام جوعا وعطشا .

ولما اعيد الى سجنهما كان اول هم كلود ان يجد وسيلة للهرب ، فاقترب من النافذة الحديدية يفحصها ، ثم التفت الى الكردينال وقال له :

ــ اننا لن نموت جوعا وسنخرج من هذه النافذة بعد ساعتين . كان واثقا ان باستطاعته تطويع هذه القضبان الحديدية .

ولكن الكردينال اجابه :

ــ اننا لن نستطيع الهرب ، وسنموت في هذا المكان .

وفي هذه اللحظة سمعا صوتا يصدر من خلف النافذة ، ثم شاهدا صفيحة غليظة من الحديد قد سدتها ، ووقفت وراءها كالجدار ، بحيث لو حاول كلود نزعها ، لما استطاع ذلك قبل شهر من الزمن .

وتراجع كلود قانطا الى زاوية في الغرفة فجلس على ارضها وهو يزأر

كالوحش الكاسر ، لا يدري ما يفعل ولا ما يعمل .

وبعد ان تم لفوستا ما ارادته من ابعاد الكردينال والد البنفسجية وكلود الذي تبناها ويحبها حب عبادة ، اخذت تفكر في الطريقة التي تقضي بها عليها .. بعد ان استقبلت جاسوسها وعرفت منه مكانها الجديد .

ثم راحت تفكر في موقف دي كيز المتردد ، والذي لا يريد الوصول الى عرش فرنسا قوة وقسرا ، وانما بطريقة قانونية وبعد وفاة الملك هنري الثالث .

ثم استدعت احد الكرادلة ، واسمه روفيني ، وبحثت معه الاسباب التي دعت سكست كنت البابا لتبديل موقفه ، بعد ان كان يؤيد دي كيز ، حتى لقد وعده بالمال الكثير ليصل الى العرش ، ثم بدّل موقفه ، ولم يسلم المال الى الدوق وانما ارسله الى روشل حيث يقيم هنري دي نافار .

ولما كان البابا يعتبر ان هنري الثالث ملك فرنسا ضعيف لا يقوى على القيام باعباء عرش فرنسا .

ولما كان لا يأمن الدوق دي كيز ، الذي اتفق مع فوستا خصيمته ، التي كانت تطمع في الجلوس على عرش البابوية ، فقد وجه اهتمامه الى هنري دي نافار لاقناعه بالانضمام الى الكنيسة الكاثوليكية مقابل تأييد البابا له في الوصول الى عرش فرنسا .

هذه الامور كلها ادركتها فوستا وقررت على الاثر ، ان لا سبيل الى وصول الدوق دي كيز الى العرش الا بقتل ملك فرنسا ، فقررت قتله ، واعلنت رغبتها هذه امام الكردينال روفيني .

سألها بدهشة :

ــ ولكن من يجرأ على قتل ملك فرنسا ؟

ــ راهب سلحته بخنجر مسموم ، وعهدت باغوائه الى امرأة لا ترحم ذلك الملك .

★ ★ ★

فيما كانت فوستا تفكر في الطريقة المثلى للقبض على البنفسجية ، وقتلها انتقاما من بارداليان لحبه لها ، وهي تقول :

ـ لا بد انه معها الآن في ذلك المنزل الذي وصفه لي الجـاسوس ، وليس عليّ الا ان ارسل عددا من رجالي للقبض عليه وعليها ..

وحاولت ان تصدر امرها بارسال هذه القوة ، ولكن مورفر اقبل في هذه الاثناء يحمل رسالة من دي كيز يقول لها فيه ، ان بارداليان مطوق في فندق دفنير ، فاذا كان يهمك مشاهدة عملية القبض عليه فقد ارسلنا لـك مورفر ليذهب بك الى ذلك المكان ..

وكانت فوستا تعرف كره مورفر لبارداليان وخوفه منه ، وتضحيته بكل شيء في سبيل التنكيل به وقتله ، فعملت على التقرب منه ، ووعدته بمساعدته عندما يصل الدوق دي كيز الى العرش ، وان تدفع له بارداليان لتعذيبه وقتله بعد القبض عليه ، وتعطيه مائة الفا ريال ان قـام بتنفيـذ رغباتها ..

سألها مسرورا :

ـ ماذا يجب ان اصنع ..؟

ـ سأخبرك بما عليك عمله ، فاحضر اليّ في الساعة الحادية عشرة..

سألها :

ـ وبارداليان المحصور في الفندق ؟

فقالت :

ـ ان احدا لن يقتحم الفندق قبـل ان يصل جوابي الى الـدوق ، فاذهب ولا تقلق .

ولما انصرف مورفر ، قالت في نفسها :

ـ ولكن من يوجد في ذلك المنزل .. واين هي البنفسجية ؟

وبعد ان فكرت قليلا ، قالت :

ــ يجب ان اذهب بنفسي لارى من هناك .

ارتدت ملابس رجل من الاعيان ، وتقنعت بقناع كثيف ، وامتطت جوادا وسارت وحدها لا يتبعها غير الجاسوس الذي رافقها ليدلها على مكان البنفسجية .

ولما وصلت الى المنزل طرقت بابه ، فاقبل الخادم .

فقالت له :

ــ قل لسيدك اني قادمة من قبل باردليان وكلود والكردينال فرنيز .

غاب الخادم دقائق ليعود فيقول لها :

ــ تفضلي يا سيدتي .. فمولاي الدوق ينتظرك .

ونظرت فوستا الى الشارة الموضوعة على ثوب الخادم ، فـادركت انها في منزل الدوق دي انجلوم .

فقالت في نفسها :

ــ لا شك ان باردليان قد عهد الى صديقه الدوق بحماية الفتـاة .. وهو قادم من اورليان ، كي ينتقم لابيه شارل دي فالوا .

وبعد لحظات اقبل الدوق يرحب بالزائر قائلا :

ــ اهلا بسيدي ورسول اصدقائي .

قـالت :

ــ هل الدوق دي انجلوم الذي اتشرف بمحادثته ؟

فعرف الدوق من صوتها انه صوت امرأة ، ولكنه تجاهل ذلـك ، واجابها :

ــ نعم .. وانت من تكون ؟

وقررت فوستا ان تكون صريحة فقالت :

ــ ان اسمي لن يفيدك .. وما انا الا امرأة خدعها الرجـل الـذي يسيطر على باريس الان .

ــ الدوق دي كيز طبعا يا سيدتي .. اذا فقد خدعك .
ــ نعم .. وقد تنكرت بملابس الرجال لاتقم منه .. ولكن ما لنا ولهذا الان .. ولنبحث فيما جئت لاجلـه .. ان اصحابك قلقـون على الفتاة التي يدعونها البنفسجية ، فهل هي لا تزال في منزلك ؟
ــ نعم .. انها لا تزال هنا .
فقالت :
ــ ليتبارك اسم الرب فان الشفاليه بارداليان يحب هذه الفتـاة حبا عظيما ، وكان كثير القلق لاجلها .
فابتسم الدوق وقال :
ــ انه صديق مخلص ، وهو يحب البنفسجية مع انه لم يرها الا مرة واحدة ، يحبها لحبي لها فهي خطيبتي ..
فاصفر وجه فوستا تحت الوشاح لهذه المفاجئة التي لم تكن تتوقعها
لقـد فعلت ما فعلتـه بدافع الغيرة ظنا منهـا ان بارداليـان يحب البنفسجية ، فلما علمت الآن انه لا يحبها ولا شأن له بها ، استحال حقدها على الفتاة الى سرور عظيم ، فيما مضى الدوق يقص عليها الوانـا مـن اخلاص بارداليان ، وكيف انقذه وانقذ خطيبته من الموت ..
وقررت فوستا وهي تصغي الى حديثه تبديل خطتها .. فلم تبق لها فائدة من قتل البنفسجية .. يكفي ابعادها عن الدوق دي كيز والقبض على الدوق دي انجلوم الذي قد يزاحم الدوق على العرش .
راحت تفكر به فادعت انها من الهيكونوت ، وانها تكتم دينها خوفا على حياتها ، وقد نزلت في فنـدق دفنير ، فاقمت فيه ليلي ، ولـما اردت الخروج صباحا رأيت الفندق مطوقا بالناس وهم يصيحون :
ــ ليمت الكافر .
« كما رأيت شخصا دخل الى الفندق وهو ممزق الملابس ، ليلتجيء اليه . »

فلما سمع الدوق كلامها قال :

ــ هذا باردليان بالتأكيد •

ومضت فوستا تقول :

ــ وقد تبعه الى الفندق بعد ذلــك الكردينال فرنيز وكلود ، ولمـا استحال عليهم جميعا مغادرة الفندق كلفني باردليان بزيارتك بعد ان دلني على منزلك لانصحك بعدم مغادرة المنزل قبل منتصف الليل •

ــ وبعد منتصف الليل ماذا يجب ان افعل ؟

ــ لقد اخبرني الكردينال بما يجب ان تفعله ، وهو ان توافيه مع ابنته الى كنيسة سان بول عند منتصف الليل وان لا تهتم بشيء ، لانه قد هيأ كل شيء •

فذهل الدوق وقال :

ــ ايريد ان اكون في الكنيسة ؟

قالت :

ــ هذا ما قاله لي •• وقد ادركت غرضه •

فقال الدوق :

ــ وانا ادركت غرضه ايضا وساكون في الكنيسة في الوقت المعين •

وغادرت فوستا المنزل فودعها الدوق الى الباب ، فلما امتطت جوادها وسار جاسوسها خلفها قالت وهي تبتسم :

ــ لقد تم كل شيء •• ولم يبق عليّ الا ان ازوج البنفسجية •

واما الدوق فانه عاد الى البنفسجية بعد خروج فوستا وهو يقول :

ــ ستكونين الليلة الدوقة دي انجلوم يا حبيبتي •

★ ★ ★

كانت الكنيسة قريبة من منزل الدوق وقد قرر ان يسافر بعد زواجه الى اورليان ، ويترك حقده على دي كيز جانبا •

ولو انه مضى يراقب الشارع الذي كان يقع فيه المنزل ، لرأى الخادم الذي كان يتبع فوستا ، قد اودع جواده في احد الفنادق ، ثم عاد فكمن في زاوية من زوايا الشارع تطل على باب منزل الدوق ، كما اقبل بعد ساعة عدد من الرجال كمنوا في مواضع متفرقة من الشارع نفسه •

ولما اقبل الليل •• وبعد ان اصدرت فوستا حكمها على الكردينال كلود ، استقبلت مورفر وسألته :

ــ هل انت مستعد لتنفيذ اوامري ؟

ــ نعم يا سيدتي •

ــ اذا تعال معي •

وخرجا معا واحاط بهما عشرون من الفرسان كانوا بانتظارها ، الى كنيسة سانت بول •

وفي الوقت الذي غادرت فيه فوستا قصرها ، غادر الدوق دي انجلوم مع البنفسجية منزله ايضا ، وكان يشاهد في اثناء الطريق اشباحا فيحسبها من قطاع الطرق فيضع يده على سيفه ، حتى وصل الى الكنيسة فاذا النور ضعيف فيها ، وثلاثة رجال يتحدثون •• فحسبهم الدوق في اول الامر ، اصدقاءه الثلاثة بارداليان والكردينال وكلود ، فتقدم مع البنفسجية نحو المذبح ، وكان ان حسر الرجال الثلاثة عن وجوههم في هذه اللحظة ، فعرف الدوق اثنين منهم ، منفيل وبيسي •• واما الثالث فلم يعرفه •

واحس الدوق بالشر ، فطوّق حبيبته بيد وجرد خنجره بالثانية ، وصاح الدوق يسأل الرجال الثلاثة ، عما يصنعون في هذا المكان ؟

فقال احدهم :

ــ لقد جئنا لحضور حفلة زواج .
ــ زواج من ؟
ــ زواج ابنة الكردينال فرنيز التي يدعونها البنفسجية .
وقال له بيسي وهو يقترب منه :
ــ اننا هنا لمهمتين يا حضرة الدوق الاولى : حضور حفلة زواج ، والثانية القبض عليك .. باسم قائد الحرس المقدس .
صاحت البنفسجية صيحة ذعر ، وحاول الدوق الدفاع عن نفسه .
ولكن الكنيسة ما لبثت ان امتلأت بالرجال المسلحين الذين احاطوا به من كل جانب ، وانتزعوا البنفسجية من يده ، بعد ان دافع عنها دفاع الابطال ، حتى تكسر حسامه ، ثم حملوه الى مركبة كانت تقف على باب الكنيسة ، بعد ان قيدوا يديه ورجليه ذهبت به الى الباستيل .. وهو لا يعي لفرط ما تولاه من اليأس والحزن على خطيبته .
واما البنفسجية فقد ذهبوا بها الى الهيكل بالقوة ، حيث اوقفوها بجانب مورفر الذي شكرها لقدومها في الوقت المعين ، لانه قد اعد العدة لزواجهما ، وهذا هو الكاهن .
وصاحت به البنفسجية وهي تكاد تجن من اليأس :
ــ انت لست خطيبي ولا اعرفك .
وهمت ان تطعن نفسها بخنجر كان معها ، ولكنهم انتزعوه من يدها ، فوقعت على ارض الهيكل ، وتقدم الكاهن يصلي صلاة الاكليل ، وقبل ان ينتهي منها ، كانت البنفسجية قد فقدت رشدها واغمي عليها .
واما ذلك الكاهن .. فقد كان فوستا .

★ ★ ★

لقد تركنا بارداليان يضحك حين شاهد كرواس يلقي بالاثاث من

الطابق الثاني لفندق دفنير على الجماهير التي احاطت به ، والتي اخذت تهرب من وجهه . وهو يصيح بهم ويهددهم ، فلما سمع كرواس صوت بارداليان استدار خائفا ، وسأله :

ــ اتضحك يا سيدي والعدو قد طوّق الفندق من جميع الجهات ؟

فهدأ بارداليان روعه وقال له :

ــ كيف لا اضحك ومثلك يدافع عني .. اذهب الى المطبخ فخذ انفسك بعض الراحة ، وتناول بعض الطعام ، ودعني افكر في الموقف .. فان المعركة الكبرى سوف تبدأ قريبا .

وذعر كرواس لما سمع هذا الجواب ، واسرع الى المطبخ لعله يعثر فيه على نفق يختبي فيه ، وهو يقول في نفسه :

ــ لقد اغواني بيكوسي ، واكرهني على الخدمة عند هذا الوحش الذي لا يروق له غير القتل والمعارك .

وجاءت هيكيت صاحبة الفندق ببعض المراهم والضمادات لتضميد جراح بارداليان .. وقد اصفر وجهها خوفا عليه .

واخذ بارداليان بعد ان اسعفته قليلا يحصن منافذ الفندق ، ويتأكد من متانته ، واخذت هيكيت تبكي فقال لها :

ــ لا تبكي يا هيكيت ولا تحزني .. فانهم لن يستطيعوا اقتحام الفندق قبل ساعة من الزمن ، ومن يدري فقد نجد سبيلا لمغادرة هذا المكان في هذه الفرصة .

وحاول بارداليان ان يقنعها بالاختباء في احدى الغرف ريثما يدبر امره مع المهاجمين .. ولكنها رفضت واصرت على البقاء معه ، وقالت :

ــ ما يكون مصيري اذا مت .. وقتلت .. لقد كنت احبك منذ رأيتك ، ولما رأيت نعيمك وسعادتك مع لويزا ضحيت بنفسي وفرحت ، ولما انتقلت الى رحمة الله جعلت انتظر عودتك .

« ولقد عدت الان لتموت •• ان حياتي موصولة بحياتك ، فاذا مت انت مت انا • »

وذهل بارداليان لما شاهد شديد حبها لـه ، ورقت نفسه ، ومضى يزيح المقاعد التي وضعها خلف الباب ، وبعد ان كسر حسامه فتح الباب ، في اللحظة التي وصل فيها الدوق دي كيز ، وتقدم اليه قائلا :

ــ اني اسلم نفسي ايها الدوق •

ودهش الدوق لاستسلام بارداليان بهذه السهولة ، وظنها مكيدة •• لقد كان يعتقد ان معركة هائلة سوف تنشب بين رجاله وبين هذا الرجـل العنيد قبل ان يستسلم او يموت •

وفطن بارداليان لما يجول في صدره وقال له :

ــ لا تخف ايها الدوق فليس هناك كمين ولا حيلة •

وكبرت كلمـة (لا تخف) على الدوق فامر رجالـه بارساله الـى الباستيل ، وهو يقول :

ــ اني لن اغفر لكـم ايها الحراس دعوتي الى هـذا المكان لاحضر استسلام رجل جبان •

وضحك بارداليان وقال :

ــ لقد كنت اعتقد اني استسلمت للجلاد ، ولكن يبدو اني اخطأت •• فما انت جلاد ، وانما انت المصفوع بيدي •• وسأرد الكلمة ، التـي خرجت من فمك برأس خنجري خنجري حين نلتقي في المستقبل •

وسار الحراس ببارداليان الى السجن ، فيما ركمت هيكيت وهـي تقول :

ــ لقد جاء دوري لانقاذك •

ولما عاد الدوق الى قصره بين هتاف الجماهير اجتمعت اليه عائلتـه المؤلفة من امه واخته واخويه ، وقالت له امه :

ـ ان اسرتك قد خاطرت بثروتها ومجدها وحياة افرادها ، لتصل بك الى العرش ، ولكنك لا تزال مترددا ، فاذا طال ترددك بتنا من الهالكين •

فاصفر وجه الدوق ، ووضع يده على جبينه وقال :

ـ اني افضل الموت على ان يصاب احدكم بسوء •• لقد اردتم •• كما ارادت الاميرة فوستا ، ان اذهب الى كنيسة نوتردام لاتوّج ملكا واذهب الى اللوفر فانام في سرير ملك فرنسا •

« وكان بالامكان طبعا الوصول الى هذا الغرض ، اذا كانت باريس هي كل شيء •• ولكنكم نسيتم مدن فرنسا الاخرى واقاليمها •• فما نفعل بهذه الاقاليم والمدن ، وما تقولون بمجالسها النيابية وهي تحسبني مختلسا ؟

« وما تقولون بالاساقفة التابعين لسيكست كنت ، وهم يشترطون ان اكون خاضعا لرومه •• بل ما تقولون بملك اسبانيا حين يسألني عن حقي في هذا التاج ؟

« نعم اني احب ان اكون ملكا كما تريدون •• ولكني اريد ان اكون ملكا بطريقة قانونية لا تجعل مجالا للاعتراض والخلاف •• ولا ينازعني في سلطتي احد •

« انكم تعلمون انكم لن تستطيعوا ان تضمنوا لي موافقة كل هذه الجهات ، ولكن كاترين دي مدسيس الملكة الام تستطيع ذلك ، فهي تعرف ان ولدها الملك الحالي هو آخر أسرة فالوا ••• وهو مريض كما تعلمون ، وليس له وريث ، وهي تفضلني على هنري دي نافار •

« وقد طلبت مني ان اصبر قليلا ، ريثما يموت ولدها فيعهد الي بالعرش ، فلا ينازعني عندئذ احد •

« ولهذا قررت ان اذهب الى شارتر لاعود بالملك الى عاصمته •

« ومقابل ذلك ستجعلني الملكة كاترين القائد العام للجيش ، وهي الوظيفة الثانية بعد الملك » •

ولكن عائلته لم توافقه على رأيه ، وقال له اخوه الدوق دي مايان ••
أنه مر بولاية بورغونيا فوجدها تهتف له •

وقال الكردينال شقيقه الآخر :

ــ وانا سمعت مثل هذا الهتاف في شمبانيا •

وقالت امه :

ــ عليك ان تعلم ما يهددنا من اخطار ، وعليك ان تدرك ان امــورا خطيرة تجري حولنا بينما نحن نتحدث بما لا فائدة منه •

« ان عرش فرنسا سينتقــل من اسرة فالــوا الى اسرة بــوربون البروتستنتينية •• الا تعلم ان البابا موجوها الان في معسكر ملك النافار وقد صالحه واتفق معه ، ووهبه الملايين التي كانت في سبيلها اليــك •• والتي وعدك بها قبلا •

فقال الدوق دي مايان :

ــ ماذا تقولين يا اماه ؟

وقال الدوق دي كيز :

ــ ان هذا محال •

فقال الكردينال :

ــ بل هذا هو ما وقع حتما •

وعادت الام تقول :

ــ نعم ان البابا قد سالم ملك النافار ، فاذا لم تسبقــه الى العرش سبقنا اليه ، فدارت الدائرة علينا ، وسيكون من اول اعمال الملك الجديد ان يذبحنا ذبح النعاج •• اتريد يا هنري ان تشاهد رأس امك يتدحرج على النطع ؟

فوقف الدوق دي كيز ، وقد اسودت الدنيا في وجهه حين سمع هذا الكلام وجرد خنجره ، كأنما يريد حماية امه من ذلك الجلاد الموهــوم ، فتناولت امه الخنجر من يده وقالت :

ـ انقذ نفسك واهلك يا بني •• واطعن ذلك الكافر الذي يدعونه دي نافار بهذا الخنجر •

وقال الكردينال :

ـ اقسم يا اخي •

واقسم الدوق دي كيز •

وعاد افراد العائلة الى مجلسهم يبحثون قضية ملك فرنسا وضرورة قتله •

وقالت اخت الدوق :

ـ انا اتعهد بقتله •• فاطمئنوا •

فقال الدوق دي مايان :

ـ اذا قتلناه ، وعرف الناس اننا كنا السبب في قتله ، يكون من الصعب علينا الثبات فوق العرش الذي قتلنا صاحبه لنحل محله •

فقالت الدوقة :

ـ هذا صحيح •• ولكن احدا منا •• من عائلتنا لن يقتل الملك •• فاطمئنوا •• لاني اعرف رجلا يكره الملك ويريد قتله ، ويعتقد ان ملاكا قد ظهر له وامره ان يفعل ذلك ، بعد ان سلحه بخنجر لهذه الغاية ، وهو لا يزال ينتظر في الدير عودة هذا الملاك ليقول له •• « اضرب فقد حانت الساعة » •• وانا اعرف هذا الملاك ، وباشارة مني سوف يذهب الى جاك كليمانت ليصدر اليه امره •

وقال الدوق بعد تردد :

ـ ليس يهمني من يكون القاتل شرط ان تكون الضربة قاضية •

وعلى هذا تم الاتفاق •• وقال الدوق :

ـ اتفقنا •• وسأذهب غدا الى شارتر حيث يقيم الملك ، فاشيعوا

في باريس ان الملك قد وافق على كل طلبات رعيته ، ووافق على محاربة الهيكونوت واعادة المجالس البرلمانية .

« وقولوا ايضا ان الدوق دي كيز قد قرر الذهاب الى شارتر لاكراه الملك على الوفاء بوعده هذه ، وانه يدعو جميع المؤمنين لمرافقته والسير معه في موكب حافل .

« واما ماري شقيقتي فعليها ان تذهب الى ذلك الملاك » .

* * *

مبارزة في الباستيل

اخذ الدوق دي كيز يذرع الصالة الكبيرة ، مفكرا بالرحلة التـي سيقوم بها في صباح الغد .

فيما وقف منفيل وبيسي في ركن مـن اركان الصالة ، لا يحركـان ساكنا ، ولا يستطيعان مغادرة القصر الا ان يأذن لهما الدوق بذلك .

وبلغت الساعة العاشرة ، وتلفت منفيل الى رفيقه يقول له :

ــ يجب علينا ان نذهب ، فان مورفر بانتظارنا .

ثم تقدم نحو الدوق يستأذنه بالذهاب .

فقال الدوق :

ــ لا بد انكما تعبتما وبحاجة الى الراحة .

قال منفيل :

ــ معاذ الله ان تتعب في خدمتك يا مولاي .. ولكن لدينا موعـدا عند منتصف الليل .

ــ العله موعد غرام ؟

ــ انه لكذلك يا مولاي .. ولكنه لصاحبنا مورفر وليس لنا ، ومن

الحق ان تعرف بذلك رغم توصية مورفر لنا بان لا تخبر احدا .. فهو سوف يتزوج الليلة .

فصاح الدوق :

ـ مورفر يتزوج بدون اذني ؟

فقال منفيل :

ـ اننا لم نكن نعرف شيئا عن زواجه هذا قبلا ، وقد وردتنا رسالة منه اثناء انعقاد مجلس العائلة ، لنكون من شهود زواجه ، ولحمايته عند الحاجة ، لانه نفسه لم يكن يتوقع مثل هذا الزواج المفاجيء .

فقال الدوق :

ـ ومن تكون الفتاة التي سيتزوجها ؟

ـ هذا ما لا نعرفه يا مولاي .

ـ اذا سأذهب معكما لحضور هذه الحفلة .

ـ ولكننا وعدنا مورفر ان لا نخبر احدا بزواجه خصوصا مولاي الدوق .

فقال الدوق وقد زاد استغرابه :

ـ سوف اقف بعيدا في احد اركان الكنيسة ، فلا يراني احد ..

وذهب الثلاثة الى الكنيسة .. وشاهد الدوق كل ما جرى فيها ، حتى اغمي على البنفسجية ، كما شاهد امرأتين خرجتا من الهيكل ، لمساعدة البنفسجية عند اغمائها ، وصوتا يقول لهما :

ـ اذهبا بها الى المركبة وانتظراني ..

وذعر الدوق عند سماعه هذا الصوت ، فقد كان صوت فوستا ، وقد حملت المرأتان البنفسجية ومرتا بها من المكان الذي كان يقف فيه الدوق دي كيز ، فشاهد وجه البنفسجية وعرفها ، وجمد الدم في عروقه ، وحاول ان ينقض عليهما فيختطفها .. ولكنه تمالك نفسه .

ولما خلت الكنيسة من الحضور قال في نفسه :
ــ انها لي ، ولا بد من الظفر بها •
وعجب حين شاهد مورفر لا يزال واقفـا في الكنيسة ، ولم يتبـع زوجته •
وسأل نفسه ، فيما اذا كان مورفر يحب البنفسجية قبـلاً دون ان يتحدث الى احد بحبه •
ووقف في مكانه ينتظر ما يكون من امر مورفر •
وسمع فوستا تقول لمورفر :
ــ اذهب الى قصري ، لتقبض المائة الف ريال التي وعدتك بها •
« وسيغدو الدوق ملكا بعد شهر ، فينسى البنفسجية ، واذا حدث وعرف بأمرك وامرها ، فاني اضمن لك عفوه عنك •• كما سأجعلك قائد حرسي الملكي كما وعدتك •
فقال مورفر :
ــ لقد كانت الساعة التي لقيتك فيها يا سيدتي ، ساعة خير وبركة ••• فكيف اكافئك على صنيعك ؟
ــ بأن تفعل ما طلبته منك •
ــ سأفعل يا سيدتي كل ما امرتني به بشأن هذه الفتاة •
ــ اذن ستسافر •
ــ نعم ••• ولكن لا بد لي من الاجتماع الى شخص قبل سفري•
ترددت فوستا مليا ثم قالت :
ــ اذهب الى هذا الرجل ما زلت تريد ان تراه •
ــ ولتعلمي يا سيدتي اني مستعد للتنـازل عن المائة الف ريال ، والمنصب الرفيع الذي وعدتني به ، شرط ان احصل من هذا الرجل على ما اريده ، و (بيسي) الآن ينتظرني في الشارع للذهاب بي الى الباستيل•

— اذهب .. وسأحتفظ انا بامرأتك .. وحين تخرج من الباستيل تعال الى قصري لتقبض المبلغ من صرافي ، ثم تذهب بعد ذلك الى دير مونمارتر فتسلمك رئيسة الدير امرأتك ، وتلقي اليك باوامري ... فاذهب الآن في سبيلك .

وحسب الدوق ان مورفر لن ينتهي من الباستيل قبل ساعات ثلاث، وهي مدة كافية لانقاذ البنفسجية بعد ان عرف المكان الموجودة فيه .

واما فوستا فلبثت تفكر بعد ذهاب مورفر ... هل تذهب بدورها الى الباستيل ام تمضي الى قصرها ؟..

واخيرا ذهبت الى المركبة التي توجد فيها البنفسجية ، وامرت حراسها بالذهاب بالفتاة الى الدير .

وعندئذ تقدم منا الدوق دي كيز ، وقبعته في يده ، فعرفته حالا وأجفلت عند رؤيته .

قال لها :

— انت حديثة العهد بباريس يا سيدتي ، فهل تأذنين لي بحراستك الى حيث تريدين ان تذهبي ؟

فقالت فوستا :

— انت تعلم ان المكروه الذي اتعرض له ، لا يوجد حتى الآن .

« ولهذا ، فلست اخاف اللصوص والقتلة ، ولو غصت بهم شوارع باريس » .

« لقد كنت في الكنيسة ايها الدوق ، والافضل ان تعود اليها لان عندي ما اقوله لك » .

ولما عاد الى الكنيسة قالت له :

— لقد اقسمت على حماية الكنيسة ، والمدافعة عن مبادىء الحزب المقدس .

فقال الدوق :

ــ هذا صحيح وانا لا ازال عند عهدي •

فقالت له :

ــ اذا كان الامر كذلك فهل تعلـم ما يكـون حساب من يتزوج بكافرة ، انه الموت بالتأكيد •

فقال الدوق :

ــ ولكننا وضعنا هذا النظام لنلزم به افراد الشعب ، لا لنلزم به أنفسنا •

فقالت :

ــ أأنت الذي يقول هذا الكلام ؟ اني اريد ان اعلم اذا كان الدوق دي كيز رئيس الحزب المقدس يريد الحنث بيمينه •• حتى يسير كل منا في سبيله ونفترق من الآن •

فارتعش الدوق لهذا التهديد ، وأدرك ان باستطاعتها القضاء عليه ، واثارة الشعب ضده ، كما فعلت بهنري الثالث ملك فرنسا الهارب •

ولكن حبه تغلب عليه فقال :

ــ ولكن الذي احبها ليست كافرة •

ــ انها ابنة ليونورا حفيدة الكافر موتتاكو •• الذي قتلته انت في مذبحة برتلماوس •• وفقأت عينيه •

ــ ولكن كيف سمحت لمورفر بالزواج بها، وهي كافرة كما تقولين؟

ــ لقد وافق مورفر على الزواج بها كي لا يصبك بهذه الوصمة ، وهو لن يكون ابدا زوج البنفسجية ، وانما سيكون سجانها •

فعض الدوق على شفتيه من القهر وقال :

ــ هل تقسمين لي ، على ان مورفر لن يكون زوج البنفسجية •

ــ نعم اقسم •

— اريد ان اعلم المكان الذي ستسجن فيه الفتاة ايضا .
— انها ستكون سجينة في دير مونسارتر .
— اذن استودعك الله ، بعد ان وثقت بوعـدك من ان البنفسجية لن تتزوج احدا ، ولن تبرح الدير .

★ ★ ★

سافر مورفر وبيسي الى الباستيل ، لما التقيـا في الشارع بعد ان غادر الاول الكنيسة .

ولما وصلا ، أمر (بيسي) الحراس ان ياتوه بمفتاح الغرفة (١٧) .. فأتوه به .

وسار الجميع في ردهات الباستيل ، حتى وصلوا الى سلم نزلوا به، حتى بلغوا غرفة تحمل الرقم الرابع عشر .

فقال بيسي لمورفر :

— هنا يقيم الدوق دي انجلوم فهل تريد ان تراه ؟
— كلا .. اني اريد رؤية باردالبان فقط .

واخيرا وصلوا الى ردهة مظلمة . فتح الحارس باب الغرفة (١٧) فيها ، وتقدم احد الحراس يحمـل مشعلا ، ودخل الباقون خلفـه ، فاذا باردالبان مقيد القدمين بحلقتين من الحديد .

وصاح السجّان يقول :

— اننا لم نتمكن من تقييده الا بعد ان قتل ثلاثة منا .

وقال مورفر بعد ان تأكد من متانة القيود :

— أهذا أنت يا باردالبان ؟ لقد التقينا اخيرا .

ولكن باردالبان لم يلق بالاً لكلامه ، ولا نظر اليه ، التفت يقـول لبيسي :

ـ أهذا أنت يا شيخ السجانين ؟

وعض مورفر على شفتيه من الغيظ ، وقال :

ـ انك لا تجسر على اجابتي •• ولكنك ستسمع ما اقوله لك وأنفك راغم •

فلم يجبه باردالیان ومضى يقول لبيسي :

ـ يبدو ان سيفك الحاضر اقصر من السيف الذي أطرته من يدك في حادثة الطاحونة •

فاصفر (بيسي) من الغيظ وقال لمورفر :

ـ اسرع ايها الصديق، فاني لا املك نفسي عن قتل هذا الشيطان• فقال باردالیان :

ـ انك لن تجسر على ذلك ، لانهم لم يقيدوا غير قدمي •

شهر (بيسي) سيفه يريد قتله ، ولكن مورفر منعه ، وهو يقول :

ـ دعه الى الجلاد الذي سيأتي غدا لتعذيبه •• ومضى باردالیان يكيل التحقير لبيسي وسيفه ، وكيف ان شهرته في فرنسا قد انهارت بعد ان تغلب باردالیان عليه ••• وقال له :

ـ ان يدك ترتجف فاذهب الى الاستاذ امبروزا من قبلي ليعلمك قواعد السيف •

فبكى بيسي من قهره ، واسرع يغادر الغرفة بعد ان اوصى حرسه بالمحافظة على السجين •

اغتنم مورفر هذه الفرصة ، وراح يذكر لباردالیان كيف قتل زوجته ، وكيف جاب الارض سنوات عديدة هربا من وجهه ، حتى مكنه الله منه الآن •

ثم عاد فأخبره انه تزوج البنفسجية ، وانه سوف يغادر فرنسا بعد ان يطمأن الى موته •

ولبث بارداليان هادئا ساكتا ، وقد تقطع فؤاده لذكرى زوجتــه ، فيما ازداد غيظ مورفر ، حين شاهــد خصمه لا يلقي بالاً لكلامه ، ولا يرد عليه ، ولا يرفع رأسه لينظر الى وجهه .

وغادر مورفر الغرفة يائسا مع الحراس ، وذهب الى غرفة (بيسي) حاكم الباستيل ، يسأله عن ساعة التعذيب ، لانه يريد حضورها ، فأخبره انها ستكون بعد غد صباحـا ، لان الدوق يريد حضورها ايضا .. وان الموعد المعين لها هو الساعة التاسعة ، لان الدوق سيغادر باريس في اليوم نفسه الى شارتر للعودة بالملك الى باريس .

فودع مورفر صديقه ، وغادر الباستيل ، فيما راح (بيسي) يشرب الخمرة وهو يفكر في الاهانة التي وجهها له بارداليان ، فيزداد عذابه كلما ذكرها ، حتى لم يستطع نوماً ، وكان الخادم وهو يقدم له زجاجة الشراب بعد الاخرى يسمعه يقول :

ـ نعم يجب ان يموت قبل التعذيب ، فلا طاقة لي على الصبر ، ولا احتمل ان يدنس اسمي مبارز مثله ، وليقـل الدوق بعد ذلك ما يشاء ، فاني سأقتله والقي بنفسي في النهر .

مضى نهاره يفكر ويحزم أمره على ما يجب عليه عمله ، وكان في اثناء ذلك يدعــو أشهر اساتذة الفن في باريس اليه فيبارزهم ويغلبهم ، حتى اطمأن الى انه اصبح ماهرا في الضربة التي وجهها له بارداليان في حادثة الطاحونة وأطار له سيفه ، فذهب الى غرفــة بارداليــان بعد ان وضع الحراس في الردهة ، وقال له :

ـ لقد غلبتني مرة ، وكنت استطيع قتلك لما ظفــرت بك ، ولكن الدوق دي كيز يريد ان تموت معذبا ، ولا أريد ان يحقد عليّ بسببك ، ولهذا سأكتفي بمبارزتك وتجريدك من حسامك .. كما فعلت معي .

« نعم انك مقيــد الرجلين ، ولكن السلاسل طويلة لا تمنعك من

الحركة ، كما اعدك بأني لن افيد من حالتك هذه ، ولن اتقدم من مكاني الا بالقدر المطلوب ، فاذا اجبتني الى طلبي وبارزتني ، اتعهد لك بتنفيذ كل ما تريد ان توصي به قبل موتك الذي سيكون في صباح الغد » •

فأجابه بارداليان وهو يكتم سروره :

ــ لقد كنت انتظر ان تزورني لهذه الغايــة ، لان من كان في مثل شهرتك ، يؤثر الموت على ان يعيش مغلوبا •

« ولكني مقيد كما ترى والفرق ظاهر بين موقفي وموقفك » •

ــ ولكني وعدتك ان لا افيد من موقفــك ، وان لا اخطو نحوك اكثر مما يجب •• فهل هناك ما تشكو منه ايضا ؟

ــ ابدا •

ــ اذن هلم بنا الى القتال •

ــ تفضل •

★ ★ ★

نشب القتال بين الخصمين ، فأدرك بارداليان بعد قليل ان خصمــه قد اتقن الضربة التي أطــار له فيها حسامه في حادثــة الطاحونة ، وفطن (بيسي) الى غرض خصمه فضحك وقال :

ــ لقد جاء دوري الآن •• ولا بد ان اجرحك قبل ان انتزع منك حسامك ، فبأي موضع تريد أن أصيبك ؟

وابتسم بارداليان ابتسامة هائلة ، واستعد لمواجهة خصمه ، وهجم (بيسي) عليه وهو يتوقع ان يتمكن منه ، ولكن بارداليان تمكن منه بعد جولتين واطار له حسامه للمرة الثانية •

وزأر بيسي زئير القانطين .

وسمعه الحراس فأسرعوا اليه ، ولكنــه طردهم شر طردة ، وهو يقول :

ــ ماذا جئتم تفعلون ؟! ألعلكم أتيتم للتجسس عليّ ، اصعدوا الى الطابق الاول ، وحذار ان يعود احد منكم دون دعوة مني لاني سأضطر الى قتله .

فعاد الحراس من حيث أتوا حتى تواروا عن الانظار .. فارتد عندئذ بيسي الى بارداليان ، وقد اسودّ وجهه من الغضب ، فأقفل البــاب من الداخل ، وعلق المفاتيح بمسمار في الحائط ، ثم قال :

ــ سوف تموت من يدي وليقل الدوق ما يشاء .

هجم على بارداليان يريد قتله .. فدافع هذا عن نفسه وجعل يرده عنه ، رغم القيود التي كانت تشل من حركته ، حتى تعب بيسي فاستنــد الى الباب وهو يقول :

« لقد أخطــأت حين قلدتك هذا الحسام .. » واشتد غضبه حين لم يستطع قتل خصمه ، وحار في أمره ماذا يفعل .. ثم قرر فيما بينه وبين نفسه ان يقتله مهما كان الامر .

عاد الى الهجوم بعد ان استراح قليــلا ، فتراجع بارداليــان حتى التصق بالحائط ، ففرح (بيسي) فرحــا وحشيا ظنا منه انه قد ظفر به ، وسمّره في مكانه .

ولكنه لما قبل نحوه ، ألقى بارداليان بحسامه على الارض ، وقبض على عنق (بيسي) وضغط عليه ضغطا شديدا حتى سقط حاكم الباستيل على الارض لا يعي .

اسرع بارداليان فتناول رزمة المفاتيح فحل بها قيود رجليه ، واقفل الباب خلف (بيسي) ثم صعد الى غرفة الدوق دي انجلــوم ، وكان قد

عرف من مورفر انه سجين فيها ، ففتح بابها فصاح الدوق وهو يظنه احد الحراس :

ــ لقد ظفرت اخيرا بواحد منكم .

ولكن بارداليان هتف يقول له : هذا انا ...

ودعاه ان يسكت .

وكان الحراس قد سمعوا صوت الدوق فظنوه صوت الحاكم فأسرعوا اليه ، فلما اصبحوا في الردهة التي تفصل بين غرفة الدوق والغرفة التي كان فيها بارداليان سجينا ، اسرع .هذا فأقفل باب الردهة عليهم ، فأصبحوا مسجونين في الردهة ، كما كان (بيسي) مسجونا في غرفة بارداليان .

اخذ الحراس يصيحون ... فأقبل عليهم بارداليان يكلمهم من وراء الباب ويقول لهم :

ــ اتعلمون من الذي سجنكم ؟

فقال احدهم :

ــ كلا ... اننا لا نعرف من فعل هذا بنا ، بربك اسرع واخبر رفاقنا بما نحن فيه ليأتوا لانقاذنا .

فقال بارداليان :

ــ انا بارداليان الذي أقفلت الباب عليكم ... وسجنتكم كما سجنت الحاكم العام .

فصاح الجميع صيحة يأس حين عرفوا ان بارداليان هو الفاعل وشهق رئيسهم وهو يقول :

ــ يا الهي ... انهم سيشنقونني غدا لا محالة .

فقال بارداليان :

ـ اني لا اريد لكم الموت ومستعد لاطلاق سراحكم تحت شرط واحد .

فأجابه الحراس :

ـ نحن على استعداد لقبول كل شروطك .

ـ بل لا اطلب منكم غير امر واحد وهو التسليم .. فافتح لكم الباب ، فان رفضتم تركتكم حيث انتم .

حاول رئيسهم الاعتراض ، فهاج الحراس عليه وماجوا وخافوا الموت ، وقبضوا عليه وقيدوه ، وصاحوا ينادون بارداليان :

« لقد قبضنا عليه ، ونحن على استعداد للتسليم ... » أمرهم بارداليان بتسليم اسلحتهم وخناجرهم اولا من خلال فتحة الباب ففعلوا ، ففتح لهم ، واقبل على رئيسهم المقيد وقال له :

ـ اني لا اريد ان يشنقك الدوق غدا فهل انت مستعد للتسليم فأطلق سراحك وتذهب الى حيث تشاء .

قال :

ـ نعم شرط ان اخرج معك من هذا السجن .

فقال بارداليان :

ـ اني مستعد لاخراجك من الباستيل مع رفاقك ، واعطائهم راتب عام كامل كتعويض على ان تقوموا بخدمة الدوق فتعيشون في احسن حال .

ووافق الجميع على اقتراح بارداليان . وقال الدوق دي انجلوم :

ـ اذاً هلموا بنا .

وهتف بارداليان يقول كمن تذكر شيئا .

ـ لا بد لي من تفقد الباستيل اولا ، فقد طالما تمنيت ان اشاهد من فيه .

وذهل الدوق حين سمع هذا الجواب •

لقد كان الخروج من الباستيل صعبا •• لكثرة من فيه من الحراس، ومن الحكمة مفاجأة هؤلاء الحراس قبل ان يفطنوا لهربهم ، فما بال بارداليان يحاول اضاعة الوقت بدلا من مغادرة هذا المكان المخيف حالا.

والواقع ان خطة بارداليان كانت عجيبة حقا فقد قرر قبل مغادرته السجن اطلاق سراح جميع المسجونين فيه ، وكانوا يعدون كما عرف من رئيس الحراس ثمانية وعشرين •

اطلق في اول الامر سراح ثلاثة من الشبـاب عرف منهـم انهم من الموالين للملك •• وقد قبض عليهم دي كيز وزج بهم في السجن •

سأله احدهم :

ــ من الذي اطلق سراحنا •• هل هو الدوق دي كيز ؟

قال :

ــ لا ••• بل انا الشفاليه دي بارداليان ، فهيا الى ملابسكم ايها السادة فأنتم احرار •

فقال له المركيز دي سان مالان وكان اكبر الشباب سنا :

ــ اننا مدينون لك بحريتنا ، فما الذي تطلبه منا ؟

وقال الاثنان الآخران :

فقال بارداليان :

ــ اذاً هيا بنا •

ومضى بارداليان يطلق سراح المساجين الموجودين في الجناح الذي كان فيه وكانوا ثمانية ، فبات عدد الجميع اربعة عشر رجلا ، ليس معهم من الاسلحة غير ما غنموه من الحراس •

ولما وصلوا الى آخر الرواق ، ظهرت الفرقة المكلفـة بالحراسة ، فحاول رئيس الحراس الغدر ببارداليان وانذار الجماعة ، ولكن بارداليان

لكمه على وجهه لكمة هائلة القته ارضا ... وأمر رجاله بمهاجمة الفرقة، ففعلوا وتغلبوا عليها ، واضطر قائدها الى الاستسلام، فذهب به بارداليان مع الباقين من رفاقه الى الرواق حيث اقفل عليهم الباب .. بعد ان انتزع منهم اسلحتهم ، وسلح بها رفاقه .

وكان صوت البنادق قد بلغ مركز الحراس العام ، فأسرع اربعون جنديا ليروا ما الخبر فاستقبلهم بارداليان ورجاله بالنـار والسيـوف ، واخذ بارداليان يصيح يحيا الملك ، فذعر الجنود ، وظنوا ان الملك هنري الثالث قد عاد الى باريس واحتل الباستيل ، فألقوا سلاحهم ، وجـازت عليهم الحيلة، واستسلم رئيسهم فأمره ان يأتيه بجميع الاسرى السياسيين الباقين لان الملك يريد رؤيتهم ، فأتاه بهم ، فأمرهم بمغادرة السجن، وسار هو خلف الجميع تاركا رئيس حراس الباستيل في حيرة شديدة .

وقبل ان يغلق بارداليان باب الباستيـل عليـه ، التفت الى رئيس الحراس وقال له :

ـ اذهب الى الغرفة (١٧) فانك ستجد بيسي حاكم الباستيل في انتظارك .

★ ★ ★

كان الجميع في قصر الدوق دي كيز ينتظرون الساعة التي يذهبون بها الى الباستيل لمشاهدة تعذيب بارداليان .. حين دخـل بيسي لكلرك على الدوق ، وامارات اليأس بادية على وجهه وهو يقول :

ـ اضربني يا مولاي .. بل اقتلني فاني من أشقى الناس .

فأجفل الجميع لهذا الكلام .. وتأكدوا من وقوع كارثة كبيرة .. سأله الدوق :

— ماذا دهاك يا بيسي .. اخبرني بقصتك ؟

قال : لقد هرب بارداليان من الباستيل .

فضرب الدوق دي كيز المائدة بيده حانقـا ، وارتجف مورفر حتى كاد يسقط الى الارض ، وتقدم دي كيز وقد طاش رأسه من الغضب يريد ان يضرب (بيسي) ... فتراجع هذا الى الوراء وهو يقول :

— اني نبيل مثلك يا مولاي .. فاذا أردت ضربي فاضربني بالسيف كما يُضرب النبلاء .

تمالك الدوق عندئذ اعصابه ، وتذكر ان بارداليان حر طليق وهو بحاجة الآن الى جميع انصاره ، وقال لبيسي :

— عذرا ... لقد كدت أنسى نفسي من هول الخبر ، حدثني كيف تمكن هذا الرجل من الفرار ؟

فقص عليه (بيسي) القصة من اولها الى آخرهـا ، وكيف غدر به بارداليان بعد ان جرده من حسامه ، وامسك به من حلقه ، فأغمي عليه ، وسجنه ثم تمكن من الحراس ، واطلق سراح بقية المساجين بعد ان أوهم الجنود انه من انصار الملك ، وان الملـك عاد الى باريس واقتحم رجاله الباستيل .

ودهش الدوق لما سمعه ، وكاد يغمى على مورفر ، وتفقد منفيـل درعه ، حتى لقد توهم الجميع ان بارداليان سوف يصل اليهم .

ثم اطرق الدوق يفكر ، وبعد قليل رفع رأسه وهو يقول :

— لقد عفوت عنك يا بيسي فاعلم انت ومنفيل ومورفر انه لا حياة انا بحياة هذا الرجل ان بارداليان سيقتلنا جميعا اذا لم نقتله .

مؤامرة لقتل الملك

سرت شائعة بين سكان باريس اثناء نجاة بارداليان ورفاقه من سجن الباستيل بأن الملك هنري الثالث قد عاد الى عاصمته فخرج الناس الى الشوارع واختلط بهم بارداليان والدوق فلم يفطن لهما احد .. وكان ان خارت قوى بارداليان في اثناء الطريق ، واستند الى احد الجدران ، فذعر الدوق وسأله :

ــ ما بك يا صديقي ؟

فأجابه بارداليان :

ــ اني أكاد اموت جوعا .. لاني لم اذق طعاما منذ يومين ..

ولم يكن احدهما يملك شيئا من المال ليقصدا خمارة ويأكلان فيها ، فقررا الذهاب الى منزل الدوق ، حيث أبدلا ملابسهما الممزقـة بملابس جديدة ، وأحضر الدوق من خزانته مائتي دينار اقتسما مع صديقه ، ثم قررا الذهاب الى مطعم من المطاعم الشعبية لان بقاءهما في منزل الدوق مخاطرة لا تحمد عقباها .

ولما خرجا من المنزل سأله الدوق :

ــ لقد سمعتك تقول ان البنفسجية لا تزال على قيد الحياة .
ــ وهو كذلك .. فاطمئن .
فتنهد الدوق وقال : ماذا حدث لها ؟
ــ ستعرف ما حدث لها متى اخبرتني بما وقع لك .. اتعرف رجلا اسمه مورفر ؟
ــ نعم ولقد رأيته في اورليان مع الدوق دي كيز .
ــ اذاً فاقبض على هذا الرجل حين تلتقي به .
فقال الدوق : سوف اقتله اذا عثرت عليه لاني اعلم انك تكرهه .
ــ لا تقتله ، فاني اريد ان اقول له كلمة قبل ان يمـوت ، ولهذا ارجوك ان تقبض عليه فقط لانه هو الذي سيرشدنا الى مكان البنفسجية.
فسكت الدوق ، ولم يشأ بارداليـان ان يخبره بأن (مورفر) قد تزوج البنفسجية حتى لا يزيد في عذابه وشقائه .
وقال بارداليان :
ــ والآن، قص عليّ قصتك .
وبدأ الدوق يقص قصته ، وكيف اتاه رسول منه يدعوه للذهـاب الى الكنيسة ، حيث سيكـون اصدقـاؤه الثلاثة بارداليان والكردينال وكلود باتنظاره ، ففعل وذهب مع البنفسجيـة ، وكيف قبضوا عليه في الكنيسة وما حدث له فيها .
وقال بارداليان بعد ان استمع الى قصته :
ــ يجب ان تعلم اولا اني لم ارسل رسولا في طلبك ، لانهم قبضوا عليّ في الفندق ، كما لم اجتمع الى الكردينال وكلود .
فذعر الدوق وقال :
ــ اذاً لقد خدعوني وعبثوا بي .
ــ واما المرأة المقنعة التي زارتـك باسمي فهي فوستا ، وهي من

أسرة بورجيا الايطالية ، ولا بد انك سمعت الكثير من اخبار هذه الاسرة الهائلة .. فاحذر هذه المرأة ايها الدوق كل الحذر ، ولا تأمن لها ابدا .. فهي سبب هذه البلايا التي نعانيها جميعا .

« ولهذا فعلينا القبض على مورفر لان فوستا تستخدمه لاغراضها ومنه سنعرف مكان البنفسجية » .

ــ ولكن ما هذه القوة العجيبة التي لهذه المرأة ؟

فقال باردليان :

ــ ان سلطانها في فرنسا اقوى من سلطان الملك ، والدوق دي كيز يحكم باريس بأمرها ، وهي الرئيسة السرية للحزب المقدس ، واعلم ان سموم بورجيا وكاترين دي مدسيس وخناجر اتباع الدوق دي كيز لا تذكر امام هذه المرأة التي تملك في فرنسا عشرين الف جاسوس يطوفون في انحاء البلاد فلا تخفاها خافية من الاسرار والحوادث .

« وهي الى ذلك التي اخرجت الملك من باريس ، وتريد ان تضع دي كيز على العرش مكانه ، واذكر نفسك.. فانت لم تدخل السجن الا بامرها .. واذكر الكردينال وكلود .. فانهما بالتأكيد سجينين في قصرها » .

وأشار باردليان الى قصر فوستا ، وكانا قد اصبحا على مقربة منه.

وتذكر باردليان انه جائع .. وشاهد فندق الآلة الهاصرة ، التي حمل امرأة الدوق دي كيز منه الى قصر فوستا ، لما انطلقت هاربة من وجه زوجها الذي أراد قتلها حين وجدها مع عشيقها الكونت لأي مالان ، فطعن الكونت بخنجره واندفع مطاردا امرأته بعد ان ظنه ميتا .

وقال لصديقه الدوق :

ــ هلم بنا ندخل الى هذا الفندق فانا سوف نجد فيه طعاما شهيا .

ولما وصلا الى باب الفندق شاهدا جماعة من الناس قد ازدحموا

في الشارع حول رجل يحمل بوقا في يده وقد نفخ فيه ليسترعي اسماعهم. وبعد ان تجمع حوله الناس اخذ يتلو عليهم البيان التالي من ورقة في يده.

وكان في هذا البيان ان بارداليان يعتبر خائنا متمردا على الكنيسة وعلى الحزب المقدس، وإن على كل من يعثر عليه ان يقبض عليه حيا او ميتا ويسلمه الى المسؤولين .. وان من يظفر به ينال جائزة قدرها خمسة آلاف دينار.

ثم راح المنادي يعدد اوصاف بارداليان .. وهز بارداليان كتفيه.

ودخل الى الفندق مع رفيقه، واجتازا القاعة الكبرى ودخلا الى غرفة قريبة من الباب الموصل بين سراي فوستا والفندق .. حيث اخذا مكانهما حول مائدة في ركنها، وبعد قليل جاءتهما صاحبة الفندق بما طلبا من الطعام، وكان الحديث يدور حول بارداليان والجائزة المخصصة للقبض عليه، وقد عرف بارداليان من حديث صاحبة الفندق وزميلتها انهما يعرفان بارداليان منذ سنوات عديدة، حين قبضوا عليه وزجوه في سجن الباستيل، واعدوا له قفصا من الحديد يقترب سقفه من ارضه بآلة ضاغطة حتى تسحق جسمه.

وتذكر بارداليان قصته في السجن، وكيف سعت (كاتي) صديقته لانقاذه، ومضت (روزيت) صاحبة الفندق تقول :

— ونحن لا ندري طبعا كيف عرفت (كاتي) بسجن بارداليان، فاستنفرت كل غانية في باريس وعملت على انقاذه بأن هاجمت سجن الباستيل بهن ... وقد تمكنت من انقاذه، وكنا نحن انا ورفيقتي معها، ولكنها ماتت في سبيله.

واهتز بارداليان حنوا وشفقة حين تذكر (كاتي) واخلاصها له

ولأبيه ... وأغمض عينيه مستعيدا تلك الذكرى المفجعة المؤثرة .

ومضت (روزيت) تقول :

ــ ولا اكتمك اننا أسمينا فندقنا هذه (الآلة الهاصرة) تذكـارا لبارداليان ولنجاته من الآلة الهاصرة ، ونحن نحب هذا البطل ، بل ان كل البؤساء والبائسات يحبونه ، ولن يفكر احد منا في خيانته وبيعه .

★ ★ ★

كان هناك فتى يأكل في الركن الآخر للغرفة ، وقد نظر اليه بارداليان نظرة رهيبة وقال له :

ــ أراك تحدق في وجهي ، كثيرا فهـل تريد ان تكسب الجـائزة المعينة للقبض على بارداليان ؟

فقام ذلك الفتى من مكانه ، وتقدم نحو بارداليان وقال له :

ــ كلا يا سيدي .. اني اقطع لساني ولا اذكر اسمـك لاحد من الناس ، افهمت ما اقوله يا سيدي بارداليان .

صاحت المرأتان صيحة خوف حين سمعتا هذا الكلام ، واسرعتا الى الباب فأقفلتاه ، ووقف الدوق ويده على خنجره ، وقال بارداليان :

ــ كيف عرفتني ايها الفتى ولماذا ترفض تسليمي؟ واخيرا من تكون؟ فأجابه الشاب :

ــ لماذا ترفض هاتان الفتاتان تسليمك ، مع ان الخمسة آلاف دينار تعتبر عندهما ثروة طائلة .

فقالت روزيت :

ــ لان أهل البؤس يحبون بارداليان .

وقالت باكيت المرأة الاخرى :

ـ لانه كان صديق كل من يبكي •
فقال الشاب عندئذ :
ـ تذكر يا بارداليان انك لقيت في يوم المذبحـة الكبـرى ، وهو اليوم الذي لم يكن يفكر فيه شخص الا بنفسه ، لقيت غلاما صغيرا امام تربة الابرياء ، فعزيت هذا الغلام واخذت بيده الى قبر أمه •• الذي كان يبحث عنه •• ولهذا فأنا مستعد لان اقتل من يحاول خيانتك وتسليمك •
« اني انا هو ذلك الغلام الذي كان ولا يزال يدعى جاك كليمانت »•
فقال بارداليان :
ـ جاك كليمانت ابن اليس دي ليكس ؟
ـ نعم انا هو الذي قضت كاترين دي مدسيس على أمه ،والذي قرر القضاء على كاترين بقتل ولدها الذي تحبه •• كما سأنتقم بقتلـه للكنيسة نفسها لان الله أوحى الي وأعطاني هذا الخنجر •
وقبل ان يقول بارداليان كلمـة ، اشار جاك كليمانت الى المرأتين اشارة سرية ، وقال لهما :
ـ افتحا لي الباب •
ولما رأت المرأتان الاشارة السرية ذهبتا بالشاب الى قاعة مجاورة ، فأخذ عندئذ بارداليان بيد الدوق وهو يقول :
ـ لقد عرفت الآن موضـع البـاب الذي يصل بين هذه الخمارة وسراي فوستا ، حيث يوجد كلود وفرنيز •• وربما البنفسجية ايضا •

★ ★ ★

لقد تركنا هيكت في فصل ماض ، وقد سرّها استسلام بارداليان، رجاء ان تتمكن من انقـاذه مع الايام ، وتركنـا كرواس يأكل في المطبخ ومعه كلب بارداليان بيو فلما اخذ خدم الفنـدق بعد ذهاب الجمهـور

واستسلام بارداليان بتنظيف الفندق وجدوا كرواس في المطبخ يأكل فظنوه من اللصوص ، فانهالوا عليه ضربا فهرب وتبعه الكلب .

وفيما هو يسير في الشارع لا يدري ما يفعل وقد أقبل الليل ، تعرض له شخص وهدده بالقتل ان لم يسلمه كيسه ، فعرف كرواس من صوته انه صديقه بيكوسي ، فعرّفه بنفسه ، فشتم بيكوسي صديقه وقال له :

ــ لقد كنت اتوقع ان التقي شخصا يحمل مالا ، فما العمل الآن وقد برّح بي الجوع ؟

فقال كرواس :

ــ من الافضل ان نعود الى مهنتنا .. الى الشعوذة .. مثلا ، والى التسول ، فتربط عيني كأنما انا أعمى ، وتربط يدك ورجلك كأنما انت مشوه ، وأربط بيبو بحبل يقودني به ، ونطوف على الناس نتسول .

فقال بيكوسي :

ــ هذا خير حل لقضيتنا في الوقت الحاضر ، ريثما نلتقي ببارداليان او بالدوق ، هل رأيت الدوق ؟

ــ لقد ذهبت الى منزله ، فوجدت الجنود يحيطون به .

صبرا الى الفجر يتسولان فلم يمر بهما احد .. ولم يجمعا غير ثمن الخبز .

فارتأى بيكوسي الذهاب الى تربة الابرياء حيث يأكلان من اشجارها المثمرة .

فوافق كرواس على هذا الرأي ، وقررا المبيت في المقبرة ، حتى اذا اصبح الصباح، وفتحت ابواب باريس ذهبا الى الدير، ــ دير مونمارتر ــ لعلهما يجدا رحمة ورقة عند الراهبة فيلومين .. التي تعرفا عليها هناك .

ويبدو ان بيبو الكلب لم ترق له صحبة هذين الشقيين فتركهما وفر هاربا .

فتحت المرأتان الباب السري لجاك كليمانت ، فوجد نفسه في قاعة مؤثثة بأحسن الرياش ، فارتعش جاك وعرف في القاعة المكان الذي كان فيه مع اخت الدوق ، وجماعة آخرين حين هاجمهم الدوق وقتل الكونت دي مالان ، او خيّل له انه قتله •

ولكنه ما لبث ان طرد هذه الفكرة من رأسه لانه جاء الآن لتلقي الاوامر بشأن العمل العظيم الذي كلفوه بالقيام به •

سألته روزيت :

ــ أهذا كل ما تريده ؟

فأشار لها اشارة سرية ثانية ، فأزاحت روزيت ستارة كانت معلقة على الجدار فانكشفت عن باب ، فقالت له :

ــ هذا هو الباب اتعرف كيف تقرعه ؟

قال : نعم •

فتركتاه وقرع الباب بشكل خاص ، ففتح له في الحال ، فوجد نفسه امام امرأة بملابس بيضاء جالسة على كرسي كبير •

اشارت اليه ان يدنو منها •• وسألته :

ــ اتعرف من انا ؟

ــ أظن اني بحضرة الاميرة فوستا •

ــ هو ما تقول •

ــ وقد أمرني رئيسي ان اثق بك ثقة تامة •

« واما السبب في زيارتي لك يا سيدتي ، فهو انني في سبيلي لعمل خطير ، وقد تحدثت الى رئيس الدير بأمري ، وطلبت منه الغفران ، فقال لي :

ــ لا يوجد غير شخص واحد يستطيع منحي هذا الغفران ، وانك تعرفينه وتستطيعين الذهاب بي اليه •

وساد الظلام المكان ، فلم يعد يرى شيئا ، ثم أضيئت القاعة بنـور عريب ، وظهر له من بعيد وفي وسط النور الملاك الذي زاره في الكنيسة وتقدم منه قائلا :

ــ لقد اقترب يا جاك ، اليوم الذي تسير فيه الى الخلـود ، وقد أوحى الله الى الاميرة فوستا ، بما يجب عليك ان تفعلـه ، فاصدع بما تأمرك به .

واختفى الملاك فجأة كما ظهر .

تولى الشاب رعب عظيم ، واخذ يمسح العرق الذي اخذ يتصبب من جبينه .

وسمع فوستا تقول له :

ــ لقد اعطاك الملاك خنجرا ، وعليك ان تطعن به هنري الثالث .

ــ اذن يجوز قتل الملوك .

ــ نعم .

ــ واذا قتلته ، أتغفر خطاياي ؟

ــ لقد غفرنا لك خطاياك ، فاذهب واقتل ذلك الظالم ، وستسافر غدا مع الموكب الذاهب الى شارتر للعـودة بالملك الى العاصمـة ، وفي شارتر سوف تجدني او تجد الملاك الذي يخبرك فيما يجب ان تفعل .. ولتعلم بعد هذا اني اعلم بحبك للدوقـة دي مونتبانسيه ، كما اعلم انها تحبك ايضا .

وكان ان طاش رأس جاك لهذا النبأ ، فوقع على الارض لا يعـي ، فلما عاد الى نفسه لم يجد فوستا امامـه ، وانما وجد امرأة اخذت بيده الى خارج القصر .

واما فوستا فقد ذهبت الى غرفتها ، حيث وجدت الدوقة بانتظارها، فأخبرتها بما جرى معها ، وقالت لها :

ـ ان هذا المنكود يحبك حبا عظيما ، حتى لقد أغمي عليه حين عرف بحبك له ، فلا تحدثيه بعد الآن بلسان الملائكة ، ولكن مريه بلسانك يفعل ما تشاءين •

فانصرفت الدوقة وهي تقول :

ـ لقد قضي على هنري الثالث القضاء المبرم •

وبعد قليل اقبل مورفر ، يخبرها بهرب باردليان من الباستيل ، فاضطربت ، ولكنها تمالكت نفسها ، وقالت :

ـ مسكين انت يا مورفر ، فما عساك صانع بعد هربه ؟

فقال :

ـ ما يصنعه الدوق دي كيز ومنفيل وبيسي ، فقد اصبحنا كلنا بدا واحدة عليه •• ولا اكتمك ان الدوق كان أشدنا خوفا وهو واثق ان باردليان سوف يقتله ، اذا لم يسرع هو الى قتله •

فابتسمت فوستا وقالت :

ـ لا عليك يا مورفر ، وعد الى الدوق ، واعملوا جميعا للقبض على باردليان هذا ، فان لم توفقوا ظفرت به انا •• وسأخبرك بعد ذلك بما اريده منك •

وفتحت له الباب السري المؤدي الى الآلة الهاصرة ، حيث كان باردليان وصديقه الدوق انجلوم •

فلما شاهدته باكيت اخرجته من الفندق دون ان يراه احد •

ولما عادت الى باردليان قال لها هذا :

ـ يبدو انك وروزيت جاسوستين لهذه المرأة السرية •• فوستا •

فقالت باكيت :

ـ لسنا كذلك يا سيدي العزيز، والواقع اننا لما فتحنا هذا الفندق، واطلقنا عليه اسم الآلة الهاصرة ، جاءنا رجل جميل الوجه حزين النفس ،

يدعى الكردينـال فرنيز ، وعرض علينا ان يساعدنا بثمانمائة دينار ، كما وعدنا براتب سنوي قدره ستمائة ريال ، اذا اجرّنـاه قاعة في فندقنـا ، وأذنا له ان يفتح بابا منها الى المنزل المجاور .

« وطبعا رضينا بعرضه ، واجرّناه القاعة التي اثثها بأحسن الرياش ، فكانت تقام فيها حفلات صاخبة بديعة ، وكان يتفـق احيانا ان يدخـل بعض الناس الى هذه القاعة ، فلا يخرجون ولا نعود نراهم .

« ولما شاهدنا هذه الحوادث الغريبـة ندمنـا ، ولكن بعد فـوات الاوان .

« والحقيقـة ان كل ما كان يطلب منا .. هو ان نذهب بالشخص الذي يشير الينا اشارة سرية الى هذه القاعـة ، ومنه يقرع بابـا باشارة سرية اخرى ، فيفتح له ويدخل الى القصر » .

سألها بارداليان عن الاشارة المتفـق عليها للدخـول الى القصر ، فذعرت روزيت وترددت ، وقالت :

ــ اننا نخاطر بحياتنا اذا بحنا بها .

فقال بارداليان :

ــ هل حاولتما قرع الباب ومعرفة ما خلفه ؟

فقالت :

ــ لقد حاولت باكيت قرع الباب ، ففتح لها في الحال ، ولكنه لم يكد يفتح حتى حاولنا العودة من حيث أتينـا ، ولكن بعد فوات الوقت فقد أقفل الباب خلفنا ، وكان النور يتوهج عند دخولنا للقاعة ، فما لبث ان انطفأ فذعرنا ، وسقطنا على ركبتينا من الرعب .

« ولما فتحنا أعيننا ، شاهدنا نورا ضعيفا يتألق في الغرفة ، وحبلين معلقين في السقف ، وفي طرف كل واحد عقـدة ، فتأكدنا من الهـلاك ، وأقبل علينا رجلان مقنعان طويلان كالعمالقة ، وضعا حبلا حـول عنقي

وآخر حول عنق رفيقتي ، فأحسسنا بالضغط يشتد حول عنقينا ، وتأكدنا من الموت ، وصحت أقول :

ــ رحماكم فاننا لن ندخل بعد اليوم •

فأجابنا صوت رقيق كصوت النساء :

ــ أندمتما ندما صادقا ؟

فقلنـــا :

ــ نعم •• نعم ••

فقال الصوت :

ــ حسنا فاذهبا الآن ولا تعودا لمثلها •

وقد اغمي علينا على الاثر ، فلما افقنا من اغمائنا ، وجدنا انفسنا في الفندق ، فحمدنا الله على السلامة واقسمنا ان لا نحاول الدخول الــى الغرفة مرة ثانية •

فقال بارداليان وهو يضحك :

ــ لقد اهجتما بقصتكما هذه فضولي ، ولا بد لي من مشاهدة هذه العجائب •

فاصفر وجه المرأتين وقالتا بصوت واحد :

ــ احذر يا سيدي •

فقال :

ــ لقد مرت بي اهوال كثيرة ، ثم خرجت منها سالما ظافرا •

– ٧ –

معركة في قصر فوستا

اقاموا يومهم في الفندق يتحدثون بغرائب فوستا وعجائب قصرها ٠

حتى اذا لعبت الخمرة في رأس المرأتين طلب بارداليان منهما الاشارة التي تفتح الباب ، فابتا وقالتا :

ــ لقد هاجمنا الباستيل لاجلك وتعرضنا للموت لانقاذك ، وذلك منذ سنوات عديدة ، فلا تحملنا على ما لا نستطيعه لانك اذا اصبت بمكرة ، قضينا حياتنا ندما وحزنا ٠

وقالت روزيت :

ــ ان هذه المرأة الهائلة سوف تقتلنا اذا عرفت اننا بحنا بسرها ٠

ولكن بارداليان كان في حاجة ملحة لانقاذ صديقيه الكردينال وكلود، ولهذا هدد المرأتين بالقتل ، وامّنهما على حياتهما ، بان عرض عليهما شراء هذا الفندق بالف دينار يقبضانها من منزل الدوق دي انجلوم ٠٠ ويغادران باريس ٠

وقالت المرأتان : انهما لن يغادرا الفندق ، وسوف يعتذران بان جاك كليمانت هو الذي فضح سر الباب بعد ان اخذ حظه من الشراب ٠٠ وقالت

روزيت تفسر له سر الباب :

ــ انك تجد في وسط الباب خمسة مسامير مطروقة بشكل صليب . فاطرق كل مسمار طرقة مبتدئا بالاعلى ومنتهيا بالاوسط ، ثم ترسم علامة الصليب فيفتح لك الباب .

ثم غطت وجهها بيديها وقالت :

ــ لقد قضي علينا وعليك .

فقال باردالیان :

ــ لا عليك مني .. ولا تقلقي .

وذهب الى القاعة وخلفه دوق دي انجلوم ، وطرق البـاب السري ، فانفتح امامه .

وكانت فوستا لا تزال في القاعة وحدها بعد ذهـاب مورفر . تفكر بباردالیان الذي تمكن من الافلات من الباستيل ، وتذكر ما قاله لها مـن انه سيقف ضد جميع مشروعاتها فلا توفق فيها ابدا .

لقد بدأت تخشى باردالیان ، ولكنها كانت تتجاهل هذا الخـوف ، وتعتصم بكبريائها .

واحست بقلبها يخفق .. واستشعرت بانها تحب هذا الرجل القوي الباسل .. ولكن الحب لا يجب ان يجد سبيلا الى قلبها .. ولهذا فعلى باردالیان ان يموت .

حتى لقد قررت ان تنتزع قلبها من صدرها اذا عاد يفكر بباردالیان ، او خفق لذكره .

لا بد لها من تنفيذ مشروعاتها .

ولن يتم لها ذلك الا بالقبض على هذا الرجل .. ولكن كيف السبيل اليـه ؟

وسمعت طرق الباب .. الموصل بين الفندق وقصرها ، فقالت :

ــ ترى من يكون الطارق ؟
وكان بوسعها ان تضع الزلاج خلف الباب فتمنع حركة الالــة ، ولا يفتح الباب .
ولقد تحركت من مكانهــا كي تفعل ذلك ، ولــكن الطارق ، طرق الطرقة الخامسة ، وانفتح الباب ، وظهر على عتبته بارداليان والدوق دي انجلوم .
التفت بارداليان لما شاهد فوستا يقول للدوق :
ــ اني معتمد عليك يا مولاي في مراقبة الاسير .
ذهل الدوق ولم يفهم قصده ، خصوصا وانه لم يكن لديهما اسير . ومضى بارداليان يقول .
ــ فاذا لم اعد اليك بعد ساعة فاقتل الاسير ، واسرع الــى شارتر فاخبر الملك .
وحار الدوق وقال في نفسه :
« اي اسير واي شيء يريد مني ان اخبر الملك عنه » .. ولكنه كان واثقا من بعد نظر بارداليان وذكائه ، فادرك ان وراء الاكمة سرا ، وان وراء هذا الكلام انذارا ، ولما حاول الدخول الى قاعة فوستا مع بارداليان رده هذا وقال له :
ــ افهمت ما قلته لك يا مولاي .
وقال الدوق :
ــ نعم كن مطمئنا ، فاذا لم تعد اليّ بعد ساعة ، قتلت الاسير واخبرت الملك هنري الثالث .
ودخل بارداليان واغلق الباب خلفه من تلقاء نفسه .
وتقدم نحو فوستا ، بعد رفع قبعته ، معتذرا عن زيارته لها في هــذه الساعة ، لان لديه كلاما يريد ان يقوله لها :

قرعت فوستا جرسا فأقبل حارس فسألته ..
ـ كم عدد الحراس في السراي ؟
قال : ثلاثون من حملة البنادق ، عدا ثلاثين من حملة الخناجر ؟ يبتدأ دور حراستهم في منتصف الليل .
ـ وكم يوجد من الاشراف في الخدمة ؟
ـ اثنا عشر .. ولكن ..
ـ تـولى انت رئاسة الحراس ، وقف بهم في جميـع المنافذ ، واما الاشراف فليتأهبوا للدخول الى قاعتي حين يسمعون صفيري .
وحنى الرجل رأسه وغادر القاعة .

★ ★ ★

حنى بارداليان رأسه وابتسم .
وقالت فوستا :
ـ من انت ؟
وضحك بارداليان وقال :
ـ انا الرجل الذي اكرهته بفضل حسن تنكرك بملابس الرجـال على مقابلتك وجرحك في جبينك ، ولو كنت اعلم انك امرأة ما فعلت .. ذلك في فندق (دفنير) كما تذكرين .
فقالت بهدوء :
ـ اني أغفر لك يا سيدي بارداليان دخولك اليّ دون ما دعـوة مني ، كما اغفر لك جرحي ، ولكني اريد ان تعلم انك لن تخرج من هذا المكان حيا ... وقد سمعت الاوامر التي اصدرتها .
فقال بارداليان :
ـ اذا كنت غفرت لي ذنوبي فلماذا تريدين قتلي ؟
فاصفر وجه فوستا وقالت :

ــ سوف تعرف السبب بكلمة .. اني احبــك ، ولهذا يجب ان تموت .

فذعر بارداليان لهذا الاعتراف ، وقال :

ــ انت تحبينني ؟. وانا ايضا أرى فيك من الجمال ما يدعو الى حبك .. ولو لم اكن احب لاحببتك .

ــ انت تحب ؟

ــ نعم يا سيدتي ولولا هذا الحب لما بقيت على قيد الحياة .

ــ من هذه التي تحبها ؟.

ــ انها ميتة ... نعم يا سيدتي انت احب امرأة ماتت منذ ستةعشر سنة ، واقسم لك بشرفي اني اكون سعيدا بهجوم رجالك عليّ وقتلي ، لو لم اكن بحاجة الى حياتي .

همت ان تصدر اوامرها الى رجالهــا ، ثم تمالكت نفسها ومضى بارداليان يقول :

ــ وقبل ان التقي رجالك واغلبهم .

فقاطعته : تفوز على رجالي !..

ــ طبعا ... طبعا ... ولكن قبل ان نصــل الى هذا الموضوع اريد ان تعرفي اني قبضت على جاك كليمانت وهو من اعدائي عند خروجه من منزلك ، وعلمت منه ماذا يريد ان يفعل ، وانه يريد قتل الملك هنري الثالث ، واسم التي دفعته الى هذه الجريمــة ، وقد اكرهت هذا الراهب محدثني كيف وصل اليك ، واتصل بك ، وهو طبعا سينجح ويقتل ملك فرنسا ، ويصبح دي كيز ملكا محله .

« ولكنه لن ينجح الا اذا اطلقت سراحه ... قبل ان يعلم الملك ... ان دي كيز يريد قتله » .

« هذا اذا أعطيتني ما اطلبــه ، وتركتني اغادر هذا المنــزل حرا ،

لا اعود ابالي أعاش الملك أم مات ، ولكن موت الملك كما تعلمين معلـق بحياة دي كيز ، فاذا عاش الملك مات دي كيز » •

وتنهدت فوستا وقالت في نفسها :

ــ لماذا لا يكون هذا الرجل القوي مكان دي كيز •

ــ فاذا انا مت كما سمعت منك ، فان صديقي الدوق دي انجلوم سيقتل الراهب ، وسيخبر الملك بالمكيـدة المدبرة ، فتدور الدائرة عليك وعلى الدوق •• ولكن مقابل اطلاق سراح هذا الراهب اطلب سراح اثنين من اصدقائي هما الكردينال وكلود ، وما اظن ان طلبي صعب التحقيق ، كما لا اكتمك ان امر الرجلين لا يهمني ، ولكني افعل ذلك اكراما للدوق دي انجلوم الذي احبه واحترمه ، فهو الذي يهمه حيـاة هذين الرجلين لان احدهما والد البنفسجية التي يحبها ••• والثاني الرجل الذي تبناها وعطف عليها •

فقالت فوستا وقد ازدادت اعجابا بهذا الرجل الغريب :

ــ اجئت لتموت ولانقاذ رجلين لا تعرفهما ولا هما من اصدقائك ؟

فقال : ان القسم الثاني من كلامك صحيح ، فانا لا اعرف الرجلين، ولكني لم ازر هذا القصر لاموت في سبيلهما ، فانا مضطر الى الحيـاة كما اخبرتـك ، واظن ان حياة الراهب جاك كليمانت اهم عندك من حياة هذين الرجلين •• فهل انا من المخطئين ؟

قالت : كلا •• وللبرهان على ما تقوله ، فقد عفوت عن الرجلين رغم ان المحكمة حكمت عليهما ، وحكمها لا يقبل النقض •

وذهل بارداليان ، ولم يكن يتوقع ان تجوز حيلته المتواضعة على هذه المرأة القوية •

وقرعت فوستا جرسا •• فاقبل خادم سألته عن الاسيرين فأخبرها انهما في حالة النزاع من شدة الجوع ، وانهما حاولا ضرب الباب بأيديهما

وأرجلهما فلما لم يوفقا الى كسره ، اخذا يبكيان ويلتمسان نقطة ماء فلا يجدانها فيشربان ما يتساقط على خديهما من الدموع .

وصاح بارداليان مرتاعا :

— يا للهول .

وابتسمت فوستا ، والتفتت الى الرجل تقول :

— افتحوا باب غرفة الاسيرين ، وانعشاهما بذلك الشراب الذي نستعمله في مثل هذه الشؤون ، ومتى اصبحا قادرين على المسير اطلقوا سراحهما ، وقولا لهما اني عفوت عنهما بشفاعة بارداليان .

ولاذت فوستا بالصمت .

وفعل بارداليان مثلها .

وبعد وقت قصير ، اقبل الرجل ثانية ليقول ، ان الرجلين اصبحا قادرين على المسير ، ولم يبق الا اخراجهما من القصر الى الشارع .

فقالت فوستا لبارداليان :

— تفضل يا سيدي بمرافقة صديقيك الى الردهة الكبرى ، ثم عد اليّ لاني بانتظارك لتبرهن لي على انك اطلقت سراح الراهب كما اطلقت انا سراح صديقيك .

ثم اشارت الى الرجل اشارة فتقدم بارداليان ، وبعد ان اجتاز ثلاث قاعات كبرى وقف به الرجل عند باب مفتوح ، وقال له :

— ادخل يا سيدي فانهما في هذه الغرفة .

فدخل بارداليان فوجد الكردينال فرنيز وكلود ، يعالجهما طبيب فوستا ، فلما شاهده الطبيب قال له :

— لقد اصبح الخطر بعيدا عنهما ، ولم يبق الا ان يعتدلا في طعامهما وشرابهما لمدة اسبوع .. فلتعش رئيستنا المقدسة التي عفت عنهما .

فلما خرج الطبيب همس بارداليان في اذن الكردينال :

— عند خروجك من هنا اذهب على التو لفندق الآلة الهاصرة فتجد

صديقي الدوق دي انجلوم ، فاذهبوا جميعا الى فندق دفنير ، وانتظروني فيه ، واظن يا سيدي ان البنفسجية على قيد الحياة •

فبرقت عينا الكردينال وقال : اصادق انت فيما تقوله ؟

ــ بالتاكيد واخفض صوتك فانهم يسمعوننا ، واسرع بالذهاب كما اوصيتك •

وتقدمهما بارداليان الى الردهة الكبرى فوجد فيها عشرين من الحراس ، فتح احدهم الباب الكبير فخرج منه الرجلان ، وكان باستطاعة بارداليان ان يخرج معهما ، ولكنه لم يفعل ، حتى لا يطارد الحراس اصدقاءه ، وهم في هذه الحالة من الضعف •

★ ★ ★

عاد بارداليان الى فوستا يشكر لها اطلاق سراح الاسيرين •

سألته فوستا :

ــ أين الراهب جاك كليمانت ؟

ــ انه اطلق ، فأنا لم أقبض عليه كما اخبرتك •• ولا هو أسير لدى الدوق دي انجلوم •

فقالت : اتريد ان تقول اني استطيع قتلك دون ان اخاف فساد خطتي ؟

ــ نعم •

ــ اذن سأصدر الامر بقتلك ••• فتأهب للموت •

فجرد بارداليان حسامه وقال :

ــ اني متأهب يا سيدتي •

تقدمت منه فوستا وهي مضطربة الفؤاد ، مرتعشة الجسم ، فأخذت رأسه بين يديها وقبّلته بين شفتيه ، ثم تراجعت الى آخر القاعة وقالت :

ــ سوف تموت يا بارداليان ، لا لأنك افسدت عليّ اموري ولا لأنك قاومت سلطاني ، ولا لأنك بارزتك فغلبتني ، ولكن لأني احبك ••

ولا يجب ان يعرف قلبي الحب ابدا .. فاني اكبر من ان اخضع لسلطان الحب والعواطف .

واخذت تتراجع كالخيال ، وهو ينظر اليها مأخوذا مبهوتا ، حتى اختفت عن نظره . واصبح وحده في القاعـة ، فانتظر قليلا لعل أحدا من رجالها يأتي اليه . فلما لم يأت احدا ، ذهب يحاول الخروج من البـاب الذي يؤدي الى الفندق ، فلم يظفر بسر فتحه من الداخل ، فذهب الى الجهة التي اختفت فيها فوستا ، فأزاح الستار الذي يغطي الباب فانكشف له عن رواق طويل ، مجهول نهايته .

اجتاز الرواق ، حتى بلغ قاعة جديدة ليس فيها احد .

ولكنه لم يكد يدخل اليها حتى اقفل الباب خلفـه ، فيما فتح باب آخر في القاعة نفسها ، فقال في نفسه :

ـ يبدو ان الطريق من هذا الباب .

كان لا يسمع صوتا ولا يعثر على انسان ، ولكنه كان كلما دخـل قاعة اقفل الباب خلفه ، دون ان يرى من اقفله .

ولم يكن يخـامره الشك بأن فوستا منفذة وعيدها ، وانها سوف تقتاه ، ولكنه مضى في سبيله ، ينتقل من غرفة الى أخرى ومن قاعة الى ثانية ، حتى وصل الى قاعة عظيمة ، واسعة ، فأدرك انها قاعـة العرش ، فمر بها مرور الكرام حتى وصل الى قاعـة كبيرة شاهد فيها ثلاثين من الرجال المسلحين بالسيوف والخناجر .

وشعر ان الباب الذي دخل منه قد أقفـل خلفه ، فأدار وجهه يمينا وشمالا ، فشاهد في وسط القاعة ثقبا واسعا ، وسمع من جوف هذا الثقب صوت هدير نهر السين .

كان الرجال الثلاثون يحيطون به ، بحيث لو زلت قدمه ، لسقط في الثقب وغرق في النهر ، واذا تقـدم او تأخر تصدى له خصومه بسوفهم وخناجرهم ، فتأكد له انه في القاعـة التي ينفذون فيها احكام الاعـدام

عادة ، وهي نفس القاعة التي دخل اليها كلود لاعدام البنفسجية ، ثم نجا منها بالقائه نفسه في النهر هو وربيبته .. كما فصلنا ذلك في جزء سابق.

وبعد قليل اخذ الرجال يتقدمون نحوه ، فادرك انهم يريدون دفعه إلى وسط هذه الفجوة ليسقط فيها .

هجم بحسامه على الذين كانوا امامه لعله يخترق نطاقهم ... فأصاب منهم اثنين ، فلم يسقطا ارضا ، فذعر وعلم انهم يلبسون الزرود ، فلا سبيل لسيفه اليهم ، فألقى به ارضا وهجم عليهم بخنجره ، فأصاب ثلاثة من القريبين منه في بطونهم ، فغاص الخنجر الى قلوبهم ، وسقطوا موتى ، فاتسع له عندئذ المجال ، ووثب الى الزاوية ، وابتعد عن الثقب المخيف .

وعندئذ انقسموا الى اربعة اقسام وزحفوا عليه .

اتقدت عيناه بلهيب مخيف ، والقى نظرة على الجدران حوله ، فشاهد عامودا من الحديد ، فحمله بيديه واخذ يديره يمينا وشمالا ، فيسقط الى الارض اثنين او ثلاثة منهم ، وعندئذ صاح الجميع صيحة رعب واختل نظامهم ، حتى بلغ عدد قتلاه منهم ، وهو في الزاوية عشرة .

وقد دامت هذه المعركة دقيقة واحدة ، استراح لحظات بعدها ، ثم حمل عليهم ثانية بعموده ، وهو يضحك ضحك القانطين فيفتك بهم دون ان يجدوا سبيلا بسيوفهم اليه ، لقصرها وطول عاموده ، وحاولوا الهرب وفتح الباب ، ولكن الباب كان مقفلا .. اقفلته فوستا حتى لا يستطيع باردليان هربا .

ولما قنطوا من النجاة ، اجتمعوا عليه وهجموا هجوم رجل واحد ، فتلقاهم بالعامود بعد ان قتل من قتل وجرح من جرح ، حتى لم يبق منهم غير سبعة من الثلاثين .

وبعد لحظات قضى على الباقين والقى بالعمود من يده ، وتنفس الصعداء وهو يقول :

ــ عجبا كيف استطعت حمل هذا العامود الهائل ؟

ولما شاهد القتلى والجرحى ممددين على الارض بكى من الاشفاق عليهم ... واحس بكره غريب لفوستا التي كانت سبب كل هذه المآسي.

★ ★ ★

ساد سكوت الموت على القاعة .

وأيقن بارداليان انهم لا بد ان يفتحوا القاعة الآن ، ليعرفوا نتيجة المعركة .. وليعلموا اذا كان قد مات وقذفوا به الى الهاوية .

وارتعش وقال في نفسه :

ــ لقد كنت ادافع عن نفسي .. ولكن كيف السبيل الى الخروج من هذا المكان ؟

والقى نظرة على الثقب .

وخطر له ان لا سبيل الى الخروج الا منه .

وبأسرع ما يكون من الوقت ... وقبل ان يفطن احد لما وقع .

امسك بيديه حافة الثقب ، واطلق رجليه منه ، وجعـل يبحث بهما عن مكان تستندان اليه ، فعلقت احدى رجليه بقاعدة من الخشب كانت هذه القاعة تستند عليها ، وقد شيدت فوق عدد من هذه القواعد .

اخذ ينزل رويدا وهو يمسك بالقواعد الخشبية ، حتى وصل الى الجسر وبلغ الماء .. فقرر ان يأخذ لنفسه بعض الراحة ، ثم يسبح في النهر الى الشاطىء .

مد رجليه في الماء قليلا ، فمس بجثة رجل ، ثم بآخر ، فذعر ، ووقف على الجسر ، وتسلق الدعامة الخشبية .

ثم وقف حائرا :

فقد سمع اصواتا في القاعـة التي خرج منها ، ووقع اقدام فلم يعد يستطيع الرجوع اليها .. وهو لا يطيق العودة الى الماء وقد غص بالجثث ... فأسند رأسه الى العامود الخشبي وجعل ينصت .

سمع فوستا تقول :

ــ اين المحكوم عليه بالموت ؟
فأجابها صوت قائلا :
ــ لقد القى رجالنا باردالیان من الثقب حسب امرك، ولكنه أسقط منهم اثني عشر رجلا ، وقتل وجرح الباقين •
« فانظري الى ما حولك يا سيدتي •• »
ونظرت فوستا حولها •• وتنهدت •• حتى لقد سمع بارداليـان صوت تنهدها من مكانه •
وعاد الرجل يقول :
ــ ولقد احسنت یا سیدتي بسد الثقب حتى لا يهرب منه الساقط الى نهر السين وينجو بنفسه كما فعل كلـود •• بحيث باتت هذه الهوة تشبه القفص الذي تصاد فيه الاسماك •
واضطرب بارداليان ••• وراح يفكر في موقفه ••• وهتف يقول :
ــ ان فوستا ستغادر هذه القاعة مع رجالها وهم يحسبونني ميتا فأصعد اليها ولا أعدم سبيلا للخروج من هذا المكان بعد ذلك •
ولكنه ما لبث ان سمع فوستا تقول :
ــ ليفتحوا غدا باب السد حتى تخرج الجثث الى النهر ، وليقفلوا باب هذا الثقب •
واظلمت الدنيا حول بارداليان بعد اقفال الثقب •
وعلم من وقع الاقدام في القاعة ان الذين كانوا فيها قد غادروها •
فيئس من النجاة ، بعد ان سدت في وجهه جميع الابواب •
وعاد الى الجسر فأسند جسمه عليه ، وهو يقول :
ــ اني لن اموت قبل يومين ••• والافضـل ان آخذ حظـي من الراحة ، قبل ان اصعد الى السماء •
وبعد لحظات اغمض عينيه ونام •

انتهى هذا الكتاب